الفاشية العالمية الحديثة

محمد مبارك الميلي

دار الآداب - بيروت
مكتبة النهضة الجزائرية



https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الفاشية العالمية الحديثة

محمد مبارك الميلي

الفاشية العالمية الحديثة

دار الآداب - بيروت
مكتبة النهضة الجزائرية

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الطبعة الأولى
شباط ١٩٦٣

تمهيد

في التجربة الثورية الجزائرية عدة ملامح تسجل عالمية الثورة الجزائرية في الوقت نفسه الذي تبرز فيه جوانب الأصالة فيها .

وقد أثرت الأبعاد العالمية في الثورة الجزائرية على مجرى الأحداث خلال سنوات حرب التحرير ، بكيفية أخضعت كل الأحداث المتصلة بهذه الحرب ، لهذه الأبعاد .

لكن هذه الحقيقة من العمق ومن التعقيد ـ إذا أخذت في إيجاز ـ بحيث تتطلب شرحاً مستفيضاً .

لذلك سنقتصر في المحاولة التالية على الكشف عن إحدى صورها ، كما تجلت من خلال حركة المنظمة السرية وارتباطاتها بحركة الفاشية العالمية الحديثة .

وليس من محض الصدفة أن نجد الحديث عن الفاشية العالمية الحديثة قد قل مع فشل المنظمة السرية في الجزائر . وهذه مزية أخرى تضاف إلى حسنات الثورة الجزائرية وتسجل ملامح العالمية فيها فيما هي تبرز جوانب الأصالة فيها .

محمد الميلي



الفصل الأول

حركات في غـــابة

الجو هناك جو اجازة واستراحة واستجمام .. كل شيء يشعرك بأنك في إطار مثالي لقضاء اجازة الصيف : البحر ، والحرارة وأشجار الصنوبر والصراصير التي لا تنقطع عن الصرير .. ركن رائع لكل من يريد أن يقضي أيام راحته في ظل الهدوء ، بعيداً عن الضجيج بنوعيه : الحسي المتمثل في حركات المدينة ، والسياسي المتمثل في الأخبار المزعجة وأنباء الحرب والانقلابات التي لا تكاد تخلو منها عناوين الصحف في يوم من الأيام ..

وهناك ، في أطراف الغابة القريبة تبتدىء طريق ضيقة ، كثيرة المنعرجات بين مكتث الأشجار ، تنطلق وسط الغابة على بعد بضعة كيلومترات من غابة هوسيغور . وبالقرب من البخيرة البيضاء ، تمتد طرقات أخرى غير بعيد عن أحواز سينيوز وتوسوسوستون ، تلتف حول ركن هادىء لم يكتشفه السواح بعد .. ركن مثالي لا يصلح إلا للمفكر الباحث عن الهدوء ، أو العابد الباحث عن العزلة لينقطع للصلاة ، أو .. المتآمر الذي يحبك الانقلابات في طي الخفاء ..

وعندما تنطلق مع احدى تلك الطرقات تصادفك فجأة لافتة كتب عليها :

« الرجاء من فضلكم أن تزوروا الكنيسة المهداة للقديسة فاطمة .. » .

فاذا واصلت سيرك عشرين خطوة أخرى الى الأمام في ظل الأشجار المتشابكة ، انتهيت إلى فضاء صغير من الصعب أن تعثر عليه وسط هذه الغابة .. وفي وسط هذا الفضاء ارتفعت شجرة صنوبر مددت تحت ظلالها الوارفة عدة طاولات طويلة ، جلس اليها ثلاثة أشخاص ملتحين .. وعن يمينهم انصرف رجال آخرون الى اعداد بناية كبيرة من خشب .

فاذا التفت إلى اليسار وجدت داراً قديمة مبنية من حجارة : انها البناية الوحيدة التي كانت توجد في هذه البقعة المنقطعة من زمان . ووراءها يظهر ظل كنيسة من خشب بنيت حديثاً على نمط عصري . والطريق الصغير الذي يؤدي إلى المعبد الخشبي ، تحفّ بجانبيه نحو اثنتي عشرة بناية خشبية وضعت في غير نظام ظاهر وكأنها زنزانات سجن ..

ها نحن الآن قد وصلنا الى الكنيسة لندخلها .. انها بسيطة ، وقد وضع حاجز يقسمها إلى حجرة مربعة الشكل تقريباً ، وفي نهايتها معبد بسيط . وفي القسم الثاني وضعت طاولة صغيرة اختفت وراء أكداس من المطبوعات تعلوها معلقة كتب عليها : (تفضلوا) ..

فإذا دفعك الفضول الى التفضل والى ان تمد يدك لتقرأ بعض تلك المطبوعات ، فانك لا تلبث أن تهتم بالموضوع .. فمن بين تلك المطبوعات تجد ورقة تشتمل على نص الخطاب الذي وجهته « أم الآله الى العالم عن طريق فاطمة — البرتغال — » .

خليط من التكوين الروحي والسياسي

لكن قبل أن ننصرف الى التأمل في هذه المطبوعات التي تصلح لكل ضابط فرنسي متطرف يبحث عن مذهب يوجه أحقاده وعنصريته ويبرر أعماله الوحشية ، — قبل ذلك يجب أن تعرف أن هذا المكان نفسه استغله جان باتيست بياجي المتطرف المعروف ..

لكن من هو بياجي ؟ ..

قل من لا يعرف بياجي من بين المعتنين بالمشكل الجزائري أو الحركات الفاشية .

انه محام كورسيكي ، قصير القامة ، معوجّها ، يقول عن نفسه انه مقاوم قديم ، قاوم النازية في عهد المارشال بيتان .

والذي نعرف عنه أنه بدأ يظهر على مسرح السياسة ، أو بعبارة أدق على مسرح ما يسمى بـ « الجزائر الفرنسية » في سنة ١٩٥٦ عندما نظم المتطرفون مظاهراتهم الشهيرة في ٦ فيفري ، أثناء زيارة في مولي ، التي انتهت بانهزام رئيس الحكومة الفرنسية المنبثقة عن « الجبهة الجمهورية » التي انتصرت في الانتخابات ووضعت على عاتقها أن تنهي حرب الجزائر . ظهر بياجي آنذاك ، ولمع عند فرنسيي الجزائر ، بخطبه الهستيرية ضد نظام الحكم في فرنسا .. وبينما كان يخطب يومذاك في احدى قاعات السينما بالجزائر ، كانت قبضة المسدس تبرز من حين لآخر عندما يبالغ في الحركات التي تزيح المعطف عن مكانه أكثر من اللازم .

ثم اختفى بياجي من الجزائر ليظهر في باريس حيث بدأ يلمع منذ سنة ١٩٥٧ .. وعلى الأخص عندما كان يتدرب مع جمع من رفاقه المتطرفين على الرماية بالرصاص الحقيقي .. وقد التقطت له صحف باريس آنذاك صورته وهو يحمل رشاشة في احدى الغابات القريبة من العاصمة الفرنسية عندما كان يتدرب على فن ازالة الأعداء بأضمن الوسائل ..

وفي ١٩٥٨ نظم من ١٥ جويلية الى ٣٠ سبتمبر دورة رسمية لـ « التكوين الروحي والسياسي » بعد أن تبين له أن ديغول بدأ يخون حركة ١٣ ماي التي كان بياجي من بين الأركان التي أعدتها للقضاء على الجمهورية الرابعة ..

وفي المنشور الذي دعا لهذه « الدورة » ، ينص بياجي وزميله جان بوايي على أن هذه الدورة الاعدادية « مخصصة فقط للمتطوعين الراغبين في التكوين ، وعلى هذا الأساس فالدورة مفتوحة لكل من تتراوح سنه من

١٨ الى ٤٠ عاماً . » ثم ينص المنشور على البيانات التالية : « الاستعلامات والتسجيل توجه الى جان بوايي ٣٥ نهج كرونستاد، باريس، الدائرة الخامسة عشرة . وذلك إلى يوم ١٤ جويلية . أما بعد هذا التاريخ فالطلبات توجه الى السيد بوايي بالعنوان التالي : لا منتاني (الجبل) سينوز — (مقاطعة اللاند) ..

وفعلاً فقد أقام بياجي في هذا المكان الذي أطلق عليه اسم « الجبل » مخيماً سرياً للتدريب على الأسلحة .. وكان يتردد على هذا المكان الهادىء ، الكولونيل تومازو أحد النواب الديغوليين (في مبدأ الأمر) الذي اشتهر باسم « أنف الجلد » . كما تردد عليه روبير مارتيل قائد المعمرين الفرنسيين في المتيجة وأحد المفكرين الفاشيين الذين أقاموا مذهبهم على « الجزائر الفرنسية » و « القيم المسيحية » ، وروبير مارتيل هذا هو الذي ما انفك منذ جانفي ١٩٦٠ يسير الوحدات المتطرفة المتشردة في المتيجة ..

زيارات نظامية

لكن الظاهرة الغريبة التي تلفت النظر حقاً ، هي أن عدداً كبيراً من الضباط العسكريين الفرنسيين يزورون بانتظام هذا المكان أثناء اجازاتهم القانونية، فهم يأخذون بانتظام طريق محطة (سان فاسان دي تروسو) قادمين من مختلف وحدات المظليين المتمركزة في الجنوب الغربي الفرنسي ، بعد أن يتحصلوا على اجازات نظامية .. والعنوان الرسمي الذي يزورون به هذا المكان هو « الاستراحة » أو « تنمية ثقافتهم » .

والقائد الروحي لهؤلاء الباحثين عن التكوين الروحي هو القسيس بوايي ، وهذا القسيس معروف بتفرغه لمهمته الدينية الى درجة أن البوليس الفرنسي وضعه تحت الاقامة الجبرية عند قسيس ثوس أثناء تمرد افريل ١٩٦١ .. وفعلاً فيبدو أن البوليس السري يعنى عناية خاصة بالقسيس بوايي ، وخصوصاً المفتش المشرف على مخابرات مدينة داكس . وبالرغم

من ذلك فان القسيس بوايي تمكن من مواصلة مهمته ، والقاء دروسه التكوينية ، يومياً ، على الساعة الحادية عشرة.. فكيف نفسر موقف البوليس السري من هذا الرجل ؟

هذا ما سوف يظهر للقارىء فيما بعد .

ملتقى استراتيجي

والحقيقة أن هذه المنطقة أصبحت ملتقى استراتيجياً بالنسبة للارهابيين الفرنسيين الذين تجمعوا الآن في حركة « المنظمة المسلحة السرية » بعد أن كانوا متفرقين في عدة منظمات متناحرة .. هذا الملتقى نطلق عليه وصف « الستراتيجي » بدون مبالغة، لأنه يلعب دوراً كبيراً في حياة الخلايا الارهابية ونشاطها . فهذه المنطقة لا تبعد الا ساعة بمسير السيارة عن الحدود الاسبانية ، ولا تبعد عن الثكنات العسكرية لجنود المظلات في بايون وبرومون مارسان إلا بضعة كيلومترات . ونلح على هذه العلاقة بين ارهابيي المنظمة السرية وجنود المظلات ، لأن الشعارات الفاشستية الارهابية تظهر على جدران المدن الفرنسية بمجرد مرور وحدات المظليين بها ، سواء كانوا قادمين من الجزائر أو من مدينة فرنسية أخرى، بل أن كثيراً من المدنيين الفرنسيين في هذه المنطقة يؤكدون في أحاديثهم أن كتابات « تحيا المنظمة السرية » « ويحيا الجنرال سالان » التي ظهرت هناك خلال تمرد أفريل ١٩٦١ ، كتبها جنود المظلات .. وليس من محض الصدفة أن شاهد الصحفيون في بنزرت على جثث بعض الضحايا رسم الصليب الفاشي ..

ولاستكمال المعلومات الضرورية حول هذه القاعدة والتأكد من أهميتها الستراتيجية يجب أن يعرف القارىء أن تلك المنطقة هي التي نظم فيها الجنرال شاسان وحدات المقاومة ضد الجمهورية الرابعة خلال ١٣ ماي .. وأن الارهابي الفرنسي المتطرف المعروف، ميزال ، زار نفس المنطقة عند فراره من السجن أثناء محاكمته مع لاغايارد وسوزيني وروندا ودي

ماركي في ١٩٦٠ . وأنه أقام في فيلا وضعت تحت تصرفه .. وان الجنود المتمركزين في المعسكر الأميركي ببلدة « بوتو » يزودون الارهابيين بعشرات الكيلوغرامات من مادة البلاستيك بنفس السهولة التي يتحصلون بها على السجاير الأميركية .

كل هذه المعلومات والتحركات في هذه المنطقة وعبر الحدود الاسبانية معروفة لدى عدد من مفتشي البوليس السري الفرنسي المسؤولين عن مراقبة الحدود وعلى الأخص ب.. و ج... و ب .. لكن الصدفة الغريبة تشاء أن يكون هؤلاء المفتشون معروفين بأفكارهم المتطرفة وميولهم العنصرية .

وقد اكتشف حوالي ١٥ ماي ١٩٦١ كمية هائلة من الأسلحة بالقرب من أوسيس في الجبل ، مما استدعى تجنيد قوات ضخمة من الحرس الجمهوري . لكن الصمت الرسمي خيم على العملية التي لم يعرف عنها شيء تقريباً .

وبالعكس من ذلك فان كل شيء معروف عن مناشير المنظمة المسلحة السرية .. مناشير تظهر في جميع المناسبات وتتمتع بتأييد جميع الأوساط اليمينية التي كانت بالأمس تؤيد بيتان وتتشبث اليوم ب « الجزائر الفرنسية » .

* * *

كل هذه التحركات والتجمعات والمؤامرات والاستعدادات للانقلاب تم في وضح النهار على مرأى ومسمع من الرسميين المكلفين بالقضاء عليها ؛ وعندما تسأل أحد ممثلي السلطات المحلية « لماذا لا تفعلون شيئاً ضد هذا ؟ » يجيبك بكل بساطة وبكل صدق بعد أن يرفع يديه إلى السماء علامة العجز ، عجزه هو : « الحكومة بباريس تعلم هذا . فعليها هي أن تتخذ القرار الذي يفرضه الظرف وأن تصدر لنا الأوامر » .

ان الحكم « القوي » الذي يفتخر الجنرال ديغول أنه أقامه على أنقاض الجمهورية الرابعة ، ليرجع إلى فرنسا هيبتها وسمعتها وقوتها ، هذا الحكم الذي يؤكد دي‌غول في خطبه أنه « لن يتراجع » ولن يضعف أمام أي

كان ، لا يستطيع أن يحرك ساكناً ضد قوى الشر ، التي تنخر كيانه ، وتنهش أسسه ، وتعفن أجهزته في انتظار ساعة الانقلاب « الحاسم » .

هل من المبالغة بعد هذا كله أن يقال : « الحكم الديغولي شريك المتآمرين ؟ »

فهل من محض الصدفة أن تعجز السلطات البوليسية في باريس — ولا نقول في الجزائر — عن إيقاف شبكات مفجري البلاستيك ؟ هل بلغت شبكة المتمردين من الاتساع والانتشار والأحكام درجة سمحت لها بأن تتمتع بمنظر الجمهورية الخامسة وهي تتمرغ في وحل العجز قبل أن تقضي عليها نهائياً ، كما يفعل القط الشرير مع الفأر ؟

القدامى

لكن من هي العناصر التي تشكلت منها هذه القوة التي تكاد تخلف الحكم الفرنسي في الظلام لتصبح هي الحكم الحقيقي ؟ من هم الرجال الذين يشكلون هذه المنظمة المسلحة السرية التي تحاول تقليد جبهة التحرير الوطني في نظامها و أساليب عملها واتصالاتها مع الجماهير ؟

انهم خليط غريب من المدافعين عن « جزائر السيد الوالد » ، ومن قدماء المتعاونين مع النازية مثل دي سيريني ، وقدماء الاشتراكيين مثل « لاكوست » وقدماء التقدميين الديغوليين مثل سوستيل ، وممثلي الطبقات الأوروبية الشغيلة التي تتكون منها جمهرة سكان باب الوادى بعاصمة الجزائر وممثلي البورجوازية المستهترة وكبار المعمرين بالجزائر والضباط المتطرفين والمسيحيين العنصريين ..

هذا الخليط جمعت بين معظم عناصره القضية الجزائرية أي الرغبة في التمسك بـ « الجزائر الفرنسية » رغم كل شيء ، وبأي ثمن ، ولو كان الثمن هو ضياع « الجزائر الفرنسية » وفرنسا معاً !

والحقيقة أن الأساس الذي قامت عليه هذه الحركة ليس هو « الدفاع عن الجزائر الفرنسية » . فالجزائر هنا ليست إلا « المبرر » و « الفرصة

المناسبة » لتحقيق أهداف أخرى أعمق وأقدم وأشد خفاء .. أساس هذه الحركة يرجع إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، إلى الحركة الفاشستية التي كانت تعمل على إقرار نظام فاشستي بفرنسا يكون هو الحلقة المكملة سلسلة هتلر – موسوليني وفرانكو آنذاك .. هذا الحكم القديم الذي أرادت رابطة الحركات الفاشستية تحقيقه يوم ٦ فيفري ١٩٣٤ عندما هاجمت البرلمان الفرنسي ، هو نفسه الذي تريد اليوم تحقيقه هذه المنظمة المسلحة السرية .. ولو أن الخطر المتمثل في هذه الحركة ، كان مقصوراً على فرنسا لما وجدنا في ذلك داعياً إلى الكتابة عنها .. لكن هذا الخطر ، كما سيتبين من أصول الحركة ومن امتداداتها ، يهدد العرب والأفارقة والأحرار في كل مكان .

الفصل الثاني

جذور التمرد

« يجب أن نستميل مناضلي الأحزاب السياسية .. وهذه الأحزاب لها أفكار طيبة لكنها ضعيفة ومشتتة . ونحن الآن نملك إلى جانبنا جنوداً أقوياء يشكلون النواة العسكرية التي تعطي لحركتنا عنصر القوة وطابع الطهارة .. وفيما يتعلق ببرنامجنا السياسي ، سنحارب عندما نستولي على الحكم كلاً من الشيوعية ، والبناء الحر ، (الماسونية) واليهودية والنظام البرلماني ومحترفي السياسة . والآن لننتقل إلى الجانب الفني من القضية . وهنا أترك الكلمة لزميلي الاختصاصي » ..

وتكلم الاختصاصي المسؤول عن المسائل العسكرية : « اننا الآن بصدد اعداد قائمة الضباط الذين يلتحقون بنا فور الشروع في العمل المباشر . وتكتيكنا يعتمد مرحلتين :

١ — التنظيم المدني هو الذي يبدأ العمل المباشر ، مزوداً بالوسائل اللازمة لمواجهة الشيوعيين مدة تكون كافية لتبرير استيلاء العسكريين على السلطة .

٢ — العمل العسكري يتبع المرحلة الأولى ، فيقضي على الضباط غير المشاركين في الحركة ، ويشكل فرق الميليشيا ويأخذ قيادة المعركة . »

أراهن على أنك حددت بعد ذلك مكان هذا الحوار .. وأراهن على أنك

جعلت اطاره في منزل من منازل ضواحي العاصمة الجزائرية ، أو في احدى الدور البورجوازية نحو « ليزانفيلد » بباريس .. وأراهن على أنك تصورت أن هذا الحوار تم قبيل ١٣ ماي ١٩٥٨ أو ٢٤ جانفي ١٩٦٠ أو ٢٢ أفريل ١٩٦١ أو في صيف ١٩٦١ .. لكنك ستندهش .. ستندهش عندما تعلم أن هذه الكلمات قيلت في شهر سبتمبر ١٩٣٦ أثناء اجتماع سري عقدته قيادة « لاكاغول » الفاشستية عند رئيسها أوجين دولو نكل . وكان من بين الذين حضروا هذا الاجتماع فيليول ،كوريز ، الجنرال دوسيتيور ، الدكتور مـــارتان ، لوستونو ــ لاكو ، كابيس ، مورو ، جوركي دي لاسال ، وكان دولونكول هو الذي بدأ بالكلام . أما الاختصاصي في المسائل العسكرية الذي تبعه فهو لوستونولاكو . أما العسكريون الذين يعطون طابع « القوة » و « الطهر » لحركة لاكاغول فهم دارتان ، الجنرال لافيني ، الماريشال فرانشي ديسميري ، والماريشال بيتان .. وأقصد بهؤلاء الرؤوس . أما الضباط المنبثون في خلايا الأساس فهم يعـــدون بالآلاف

(أعلن في اكتوبر ١٩٤٥ ، اثناء محاكمة لاكاغول، ان عدد الضباط العسكريين بها بلغ اثني عشرالفاً).

وثائق لم تعرف الاصفرار بعد

لكن أية علاقة بين « لاكاغول » التي يرجع نشاطها الهدام إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية وبين المنظمة السرية .. وما هي لاكاغول بالضبط ؟

إن العودة إلى هذا الماضي القريب والتأمل في الكتابات والأفكار التي كانت غذاء كلّ منخرط في لاكاغول ، يعيننا إلى حد بعيد على فهم المنظمة المسلحة السرية ، وتحديد ايديولوجيتها والتعرف على الأهداف البعيدة التي ترمي اليها .

في فيفري ١٩٣٤ حاولت رابطة الحركات الفاشية الفرنسية أن تحتل البرلمان الفرنسي « وهي وكات : الصليب النازي ــ العمل الفرنسي ــ الحزب الشعبي

الفرنسي الخ .. » وكان المثل الأعلى الذي يحلم به الفاشيون الفرنسيون هو موسوليني . أما هتلر فلم يكن قد اشتهر بعد آنذاك .

لكن محاولة احتلال البرلمان فشلت، ورغم فشل هذه المحاولة ورغم حلّ حركاتهم ، فقد تمكنوا بعد ذلك بسنوات من اعادة تنظيم صفوفهم : كيف ؟

ذلك أن مظاهرة ٦ فيفري ١٩٣٤ ، وتجسيمها للخطر الفاشيستي ، أحدثت ردود فعل جديدة في صفوف اليسار ، أدت إلى تحقيق « الجبهة الشعبية » التي تولدت عنها حكومة بلوم .. ولئن كانت سياسة هذه الحكومة ، لم تختلف في شيء عن سياسة الحكومات السابقة لها ، فيما يتعلق بالمستعمرات ، فإن التدابير الاجتماعية المحدودة التي أتخذتها لفائدة الطبقة الشغيلة (الفرنسية فقط) كانت كافية لإثارة هلع اليمين ودعائمه من أن تتطور هذه الوضعية الى انقلاب شيوعي ..

وهنا عثر الفاشيون الفرنسيون على النقطة الحساسة التي تمكنهم من تنظيم صفوفهم والظهور من جديد . فلئن كان من الصعب أن تلتف عدة اتجاهات وتتوحد « من أجل » حركة ما ، فانه من السهل أن تتفق كلمتها « ضد » سياسة ما .. والانقلاب الشيوعي هو أحسن وسيلة لاثارة الهلع وتوحيد كل الحركة ضد « الجبهة الشعبية » وحكومتها . ولموا جهة هذا الانقلاب الشيوعي تأسست حركة « U. C. A. D. » « أي اتحاد لجان العمل الدفاعي ».

(وليس من محض الصدفة أن نجد « الخطر الذي يستعمله المتطرفون الفرنسيون اليوم ، لتحقيق الأهداف الأنقلابية الفاشية ، هو نفس « الخطر الشيوعي) .

وعلى رأس « U. C. A, D. » كان يوجد جنرال قديم هو الجنرال دوسينيور ، « رئيس » ويوزو دي بورجو ، نائب رئيس .. لكن « اتحاد لجان العمل الدفاعي » الذي كان حركة شرعية ، معروفة لدى السلطات ، ليس الا ستاراً تختفي وراءه حركة أخرى تحمل اسم « C. S. A. R. » أي « اللجنة السرية للعمل الثوري » التي اشتهرت باسم « لاكاغول » . وقد استغل الفاشيون

الفرنسيون « الخطر الشيوعي » ليس فقط لتكتيل الصفوف ضد الجبهة الشعبية ولكن لجمع الأموال بعنوان مقاومة « الحمر » . وفعلاً فقد جمعت بهذا العنوان أموال طائلة دفعها رجال الصناعة والبنوك والشركات الخ .. أي نفس ما وقع بالأمس وما يقع الآن ، من جمع للأموال بعنوان « الجزائر الفرنسية » التي هي « أحسن سد يقام في طريق الزحف الشيوعي والحركات الهدامة الموالية له ، مثل « جبهة التحرير الوطني » » . وبادرت لاكاغول باستغلال الأموال الجديدة لشراء الأسلحة وخزنها وتنظيم الشبكات والخلايا الارهابية وتمديدها الى كامل التراب الفرنسي ، والقيام بزيارات منتظمة لموسوليني ، والتردد من حين لآخر على فرانكو . وفي مقابل التأييد الذي يبذله موسوليني لا بد من دفع عوض يتمثل في «عمل نافع » مثل اغتيال الأخوين روسيللي اللاجئين الى فرنسا وكانا من أكبر المناهضين للنظام الايطالي آنذاك .. هذا العمل أسندته لاكاغول الى أحد ارهابييها ، وهو فيليون ، الذي أنجزه يوم ٩ جوان ١٩٣٧ ، ليرضي مطالب الكونت سيانو وزير الشؤون الخارجية عند موسوليني .

مرحباً بهم في اسبانيا

والآن لننتقل الى فرانكو ، الذي كان وما يزال في نظر الفاشيين الفرنسيين « نموذجاً » وقدوة ..

في خريف ١٩٣٦ ، أي بعد ابتداء الحرب الأهلية الاسبانية ببضعة أشهر ، قام « دولونكل » (أحد القادة الفرنسيين الفاشستيين) بزيارة إلى مقر قيادة فرانكو ، صحبة الجنرال دوسينيور ، وأشرف على تنظيم مقابلة القومندان ترونكوسو ، والمركيز دي لينار ، والكابيتان ايبانيز ، الذين كانوا هم أعضاء الاتصال بين لاكاغول والجنرال فرانكو .

كانت المقابلة ودية ، حارة ، تأكد خلالها الطرفان أن أهدافهما واحدة .. وابتدأت في الحين المفاوضات من أجل تحقيق حلف حقيقي تباركه الكنيسة .

وفي هذا الاجتماع دار حوار هام أصبح الآن معروفاً ، ونظراً لأهمية الحوار يجب أن نستمع إلى بعض ما ورد فيه :

فرانكو ، ــ أشكركم يا سادة على اعانتكم الفعالة لي ، فيما يتعلق بتزويدي بمعلومات هي على غاية من الأهمية .

الجنرال دوسينيور : سنضاعف اعانتنا في المستقبل . إننا نشعر أن واجبنا يحتّم علينا أن نبذل كل وسائل الاعانة الممكنة لتحقيق انتصار فرقكم البطولية لأن المعركة التي تشنونها الآن على الشيوعية بشجاعة قاهرة ، سنخوضها نحن في مستقبل قريب بفرنسا .

دولونكل ــ اننا معجبون بحركتكم ، ونعتبر الأحداث التي تعيشها اسبانيا الآن بمثابة ارهاص لما سيقع في فرنسا غداً .

فرانكو ــ ان أفكارنا لا تعرف الانهزام .

ثم انتقل الحديث إلى الميدان التطبيقي . فتحدث دولونكل ، وأعرب عن حاجته إلى الأسلحة . فوعده فرنكو بالتدخل لدى موسوليني ولدى هتلر لكي يعطياه ما هو في حاجة اليه . لكن دولونكل يريد السلاح ناجزاً . فقبل فرانكو وفي آخر الأمر ، وقال :

ــ « سيتكلف بوردا ، وهو خباز في ايرون بنقل صناديق الرشاشات الى اسبانيا تحت حراسة ترونكوسو والمركيز دي لينا وسيتعهد الكابتان أبانيز مسؤول ايرون ، بالاشراف على العملية . » .

لكن دولونكل له مطلب أخير :

ــ ان بعض أصدقائنا في فرنسا قد يضطرون لمغادرتها .

فرانكو ــ مرحباً بهم في اسبانيا .

هذا الحوار الذي يكشف عن مبلغ اتفاق وجهات النظر بين الطرفين ينم عن طبيعة الأحاديث التي جرت بين فرانكو ورجاله ، وبين جنرالات آخرين ، في سنة ١٩٦٠ و١٩٦١ : بين فرانكو أو صهره وبين سالان مثلاً .. وهذا الاتفاق الذي يرجع إلى سنة ١٩٣٦ والذي أصبح معروفاً

يعطينا صورة عن اتفاقات أخرى ما تزال سرية ، أبرمت منذ زمن بعيد بين « اسبانيا الفرانكية » و « الجزائر الفرنسية » .

الفرق بين جمهوريتين

الا أن دولونكل لم يستطع أن يحقق أحلامه .. لقد اصطدم بجهاز بوليسي لم يكن قد أصابه التعفن . فالأسلحة التي وجهها فرانكو سرعان ما سقطت في أيدي البوليس الفرنسي : آلاف الرشاشات والبنادق الرشاشة — وهنا فقدت (لاكاغول) الأمل في إمكانية الاستحواذ على الحكم من الداخل بواسطة حركة انقلابية مسلحة . حينذاك نشرت « لاكاغول » شعاراً جديداً : (هتلر أفضل من الجبهة الشعبية) . وهذا ما يفسر إطلاق سراح كل أنصار لاكاغول الذين كانوا في السجن ، بمجرد انتصار النازية . وظهرت الحقيقة بعد استقرار الماريشال بيتان في الحكم ، عندما تبين أن كل أعضاده من رجال لاكاغول ، الذين أصبحوا يمسكون بالمناصب الأساسية في دولة فيشي . أما دولونكل فانه قد أسس في باريس بموافقة مارسيل ديات ، « الحركة الاجتماعية الثورية » تحت اشراف النازيين الذين اغتنموا فرصة وجودهم بفرنسا فأطلقوا سراح الأرهابي « فيليون » في ١٩٤٢ ، الذي استقر في كليرمان فيران حيث فتح مكتباً وشكل فرقة تخصصت في اختطاف الوطنيين الفرنسيين لحساب الجستابو النازية .. وعندما انهزم هتلر فر فيليول الى اسبانيا حيث وجد ميداناً خصباً للعمل .

لكن الألمان قتلوا في ١٩٤٢ دولونكل . لماذا ؟ لأنّ بعض رفاقه في الحركة ، فضحوا أمره للنازيين ، وأعلموه انه أراد أن يستغل أموال الحركة لشخصه ، اذ اشترى قاعة سينمائية في مونتروج ، وقصراً في فيلليركوتيريت ، وكميات من المصاغ لحرمه .

المقاومون

لكن الحقيقة التاريخية تفرض علينا أن نعترف بأن أنصار لاكاغول ،

لم يكونوا كلهم في صف النازية .

فهناك أقلية منهم كانوا الى جانب ديغول في المقاومة ، مثل الدكتور مارتان الذي يقوم على رأس الحركة الفاشية الحـالية التي تحاول الاستيلاء على الحكم بعنوان الدفاع عن (الجزائر الفرنسية) .. لكن ذلك لا يعني أن هذه الأقلية كانت تختلف في أفكارها عن الأكثرية .. كلا .. فهي متفقة مع دولونكل وديات في وجوب اقامة نظام رجعي ، وهي وفية مثل الآخرين للأساس الذي قامت عليه الحركة النازية . لكنها كانت تفضل أن تعبر النازية الى فرنسا وهي مصحوبة بدوي الطائرات وقنابل المدافع .. كانت تفضل أن يستقر نظام فيشي ، من غير أن يبدو لكل أحد أنه تحت اقدام هتلر ..

تلك بعض الأسباب التي حملت هذه الأقلية على المشاركة في المقاومة . والملاحظ أن معظم عناصر هذه الأقلية اشتغلوا مع سوستيل في مكتب التجسّس الديغولي بلندن ، وهذا ما يفسر الخلاف الدائم الذي كان موجوداً بين هذا المكتب وبين شبكات المقاومة في فرنسا التي كانت تتركب في معظمها من الحركات اليسارية الشعبية .

الفصل الثالث

دور الكنيسة

نهج لاسورس (المنبع) نهج هادىء جميل يقع في أحياء باريس المحترمة ، في الدائرة السادسة عشرة . ان هدوءه ينمّ عن الاستراحة ويصلح لكل من يريد أن ينقطع عن العمل ، ليتفرغ للتأمل ..

على ارتفاع رقم ٥ في هذا النهج نجد ديراً يحيط به جدار تعلوه بناءات خضراء ، وبجانبه كل البنايات التي تشبه في هندستها الثكنات العسكرية . هذه البناية المحترمة عرفت الشهرة في مناسبتين متباعدتين . فمن مخابئها الأرضية أخرجت قبل الحرب الأخيرة كميات من أسلحة لاكاغول ، اضطر البوليس الى احضار عدة حافلات لنقلها ..

هذا المقر يقيم به مسيحيون يمينيون اشتهروا باسم « البنيديكتين » ، والمناسبة الثانية ترجع إلى ربيع ١٩٤٧ ..

ففي ذلك العهد نجد الأب أوم سالومون ، وهو شخصية دينية بارزة من شخصيات الدين ، في بناية الأمن الوطني الفرنسي ، صحبة أولف غايار مسؤول دير مور ، والأب الأعلى لدير كلامار ، بعد أن وجه اليهم قاضي التحقيق تهمة النيل من أمن الدولة . فما هي حقيقة التهمة ؟

توصل البوليس الفرنسي ، بعد سلسلة من العمليات والتحقيقات البوليسية ،

الى اكتشاف شبكة خطيرة ، تستعمل الأديرة ، لحماية النازيين القدامى ، الذين تبحث عنهم محكمة باريس العسكرية . وفي هذه الأديرة وجد البوليس كميات كبيرة من أوراق التعريف المزيفة ، والمناشير النازية .. كما اكتشف البوليس أن دير نهج « لاسورس » استعمل في تهريب عدد كبير من أعوان النازية وأعضاء الجستابو .

الباقون

قد يتساءل القارىء المتتبع للأحداث التي عقبت الحرب العالمية الثانية مباشرة : كيف ؟ ألم يعاقب النازيون ؟ ألم يمثلوا أمام المحاكم ؟ ألم يلق القبض على الرؤوس الفرنسية التي تعاونت مع النازية ؟

والجواب أنه ألقي القبض فعلاً على المتعاونين مع النازيين : لكن لم يلق القبض عليهم كلهم ، أو بعبارة أدق ، لم يمكن القاء القبض على (الرؤوس) منهم . فمنهم من ذهب مع النازيين في انسحابهم الى التراب الالمـــاني ، ومنهم من التحق بفرانكو أو اختبأوا بفرنسا في انتظار أن تسمح الظروف من جديد باعادة تنظيم الصفوف ، ولم الشعث ، وجمع الشتات ، والاستعداد للانقلاب . صحيح أنهم قضوا في هذه الفترة ساعات حالكة ، وعرفوا أياماً صعبة خانقة ، لكن الرجعية تعرف كيف تعنى بأبنائها : انها لم تبخل عليهم بالمال لاخفائهم ، ولا بالمأوى المضمون . ان الذين تعاونوا — في الميدان الاقتصادي — مع الألمان ، وبنوا ثروات طائلة على كاهل الشعب ، مثل اليهودي جوزيف جوانوفيسي — المتسول الذي أصبح مليونيراً آووا زملاءهم المتعاونين — سياسياً — مع النازية . لكن جوزيف جوانوفيسي ، لم يتردد في بيعهم للبوليس لشراء حريته بعد ذلك .

وجوزيف جوانوفيسي ليس هو الوحيد الذي عني بإخفاء الخونة . لقد كانت هناك شبكة أخرى، أضمن ، تسهر على راحتهم ،وهي شبكة الأديرة المسيحية ، هذه الأديرة كانت تزود الخونة بأوراق التعريف المزيفة وتؤويهم ،

قبل أن تريهم طريق الراحة المضمونة ، طريق اسبانيا . ألا ترى الكنيسة واجباً عليها أن تنــدد بجرائم النازية ؟ أليس من المعقول ، في هذه الحالة أن يوجد من أبناء الكنيسة ، من يجزم عن (نية حسنة) أن اعانة مجرمي النازية على الفرار من وجه العدالة يعد عملاً بقواعد الرحمة الدينية والشفقة التي يجب أن تسود علاقات بني الانسان ؟

وهناك في اسبانيا ، البلد الآمن ، يستقر الفاشيون والخونة في بناية دينية بجهات بومبولين .

هذه الشبكة الدينية التي تحارب العدالة ، هل يقتصر نشاطها على فرنسا واسبانيا ؟

انك ستكون غرّاً لو اعتقدت ذلك .

إن هذه الشبكة العجيبة تبدأ نشاطها في التراب الالماني .

ومن هنا يتفرع الى فرنسا وايطاليا واسبانيا والى .. الأرجنتين .

أليست الشفقة المسيحية والرحمة الانسانية لا تعرف الحدود ؟

ان نفس « الرحمة المسيحية » هي التي تحتضن اليوم مجرمي المنظمة المسلحة السرية ، وتزودها بما تحتاج اليه من خطوط وشبكات لربط الاتصال بين خلايا التمرد في مختلف بقاع أوروبا .. وهي التي تضع تحت تصرف الارهابيين الأوروبيين قاعدة خلفية متينة في اسبانيا يختفون بها عند الحاجة ، وينظمون فيها كل خطط الانقلاب والتمرد ، ويحكمون طرق الاتصال بالجزائر ، وتهريب الأسلحة والمفجرات اليها .

العودة

كل هذه الخلايا الفاشية لبثت تنتظر أنسب الظروف لتعاود نشاطها من جديد .

والواقع انها لم تنتظر طويلاً .. ففي يوم ١٠ فيفري ١٩٤٧ (عامان فقط بعد انتهاء الحرب) انعقد اجتماع في قصر المتحف الاجتماعي ،

نهج لاس كازيس بباريس ، دوت فيه تصفيقات حادة عند سماع المحاضرين لاحد الخطباء وهو يذكر اسمي دوريوت ومارسيل ديات .

فمن هم هؤلاء المصفقون ؟

إنهم جمع من المتعاونين مع النازية ، منهم من أطلق سراحه ومنهم من لم تنجح العدالة في التمكن منه . ومعظمهم من قدماء الموظفين في مصالح البوليس ، خرجوا من تلك المصالح بعنوان (التطهير) الذي اعقب تحرير فرنسا — وفي هذا الاجتماع أسسوا « ودادية قدماء موظفي البوليس » التي سجلتها الجريدة الرسمية الفرنسية التي تحمل تاريخ ٣ و ٤ مارس ١٩٤٧ والشخص الذي عين سكرتيراً لهذه الودادية اسمه لوكو ، قضى ١٥ شهراً في سجن فرين . وقد اختير لوكو لهذا المنصب ، لأنه كان أقل الخونة تعاوناً مع النازية !

هذه الودادية كما لا شك أنك عرفت ، لم تبق جامدة . انها شرعت في العمل حيناً . وعملها الأساسي في هذه المرحلة هو الاتصال بـ « الرفاق القلائل » الذين لم تمسهم عمليات التطهير ، ثم عرقلة « التطهير » ثم التمهيد لعودة المطرودين إلى صفوف البوليس .

وقد نفذ هذا البرنامج نقطة نقطة ، لكن ذلك لم يكن كافياً في نظر جماعة تتعدى مطامحها حدود العودة الى الوظيفة ولو كان بوليسياً .

ففي ١٩٥٣ ظهرت حركة جديدة تحمل اسم : « جمعية قدماء البوليس الوطني والبوليس البلدي في فرنسا وأقطار ما وراء البحار » .

أي أن الحركة هذه المرة تريد أن تعمل على أوسع مستوى ممكن .

ورغم أن الفاشيين لم يكونوا مشتركين في المناصب الوزارية ، فإن وجود بعضٍ منهم في مناصب أساسية داخل ادارات البوليس تجعل في امكانهم أن يعرقلوا الأوامر التي لا يروقهم تنفيذها ، أو يضعوا بعض أصدقائهم في المناصب الأساسية . اذن فقد انتقلوا من الموقف الدفاعي إلى الهجوم . ان الشبكات الفاشية ظلت منذ ذلك الحين ، تعمل باستمرار على

ارجاع أعوان البوليس الذين طردوا في نفس الوقت الذي تعرقل فيه تقدم الآخرين الذين اشتهروا بمساهمتهم في المقاومة. ومن هنا وجد كثير من أعوان البوليس المقاومين، وجدوا أنفسهم فجأة، ومن غير تفسير، قد اصطدموا بأوامر عليا تمنعهم من التقدم في سلم الوظيفة كما يقضي بذلك روتين الوظيفة.

النفس الجديد

هذه الشبكات الفاشية تعززت منذ ١٩٥٦ بنفس جديد وتيار جديد يتمثل في اطارات بوليس المستعمرات التي استقلت. ففي هذه السنة استقل المغرب واستقلت تونس. وفي كل من هذين البلدين كان يوجد فرنسيون في ادارات البوليس بذلوا كل ما لديهم من جهد لعرقلة الاستقلال، وقاوموه حتى بالاغتيال. هؤلاء كلهم طالبوا بأن ينقلوا الى فرنسا. لكن هذه النقلة لم تكن كافية في حملهم على تغيير عقليتهم؛ انهم ما زالوا يحلمون بالعهد البائد، ما زالوا يطمعون في عودة نظام حكم عليه التاريخ بالموت؛ ما زالوا يحنون الى عمليات الارهاب التي تعودوا عليها. وبسرعة تكونت الاتصالات بين هؤلاء العائدين من المستعمرات، وأولئك العائدين من السجون. انهم لم يفهموا تطور التاريخ، ولا يريدون أن يفهموا. يعتقدون أنهم لو كانوا هم في الحكم لما استقلت هذه الأقطار، التي يتوهمون في عماهم المطلق أن حكومات باريس هي التي تخلت عنها و «فرطت» فيها. ومن ثم راحوا يستعدون لـ «تطهير» دواليب الحكم من «متعفني اليسار» و «محترفي السياسة».

هذا الاتجاه الرجعي في فهم أحداث العصر، وهذه الحلول الجنونية لمخلفات الاستعمار في البلاد الاستعمارية تغذت بوقود جديد في حرب الجزائر، التي أصبحت هي المشكل رقم واحد. فالعناصر الفاشية — أو بعضها بعبارة أدق — التي طردت أو فرت من تونس والمغرب، وجدت

في الجزائر مرتعاً خصباً لتجربة أساليبها في الأرهاب ، وتحقيق نظرياتها في فرنسة المستعمرات ، وشق الطريق إلى الحكم في باريس . ونقول « بعض العناصر الفاشية » لأنه ليس كل الذين خرجوا من تونس والمغرب طلبوا الالتحاق بالجزائر . نعم تلك كانت رغبتهم . لكن الادارة الفاشية وجهت لهم نصائح كي يمكثوا بفرنسا لأنها أحوج ما تكون لهم هناك ، عندما تدق ساعة الانقلاب المتوقع . وقد تفتقت رؤوس الفاشيين في باريس عن حيل عديدة تسمح لهم بعدم مغادرة التراب الفرنسي . من ذلك الحيلة التي اهتدى اليها سوستيل ، « المعروف بميله الى الحكايات البوليسية » والتي تتمثل في توجيه أعوان البوليس لرسائل التهديد الى بعضهم .. رسائل تهديد توجه من الجزائر .. ومجرد الاستظهار برسالة من هذا النوع كان كافياً في حمل ادارة الأمن على ابقاء « المهدد » بفرنسا أو استدعائه اليها ان كان خارجها .

والغريب أن هؤلاء الفاشيين لم يستقروا في مناصب ثانوية .. ان شبكتهم التي يتواطأ معها موظفون سامون في مختلف دوائر الحكم وأجهزته ، مكنتهم من الاستيلاء على مناصب أساسية حساسة : مثل حراسة المطارات ومحطات الارتال ، ومناطق الحدود خصوصاً الحدود الفرنسية ــ الاسبانية .

فالمسمى بـ .. مثلاً ، الذي كان بالمغرب من عصابة اليد الحمراء ، هو الذي مكن لاغايارد من عبور الحدود الفرنسية الى اسبانيا . ان الفاشيين لا يريدون أن يتعرضوا لأخطار الهروب إلى الخارج ، عن طريق الجبل بعيداً عن مراكز الحراسة . أليس من الأفضل أن يفروا عن طريق السيارات أو الطائرة ، بكل أمان ، ما دام الشخص المكلف من طرف الحكومة بالقاء القبض عليهم ، هو نفسه المكلف من طرف ادارة الفاشيين ، بتهريبهم .. خصوصاً عندما يكون هناك ، في الجهة المقابلة من الحدود ، البوليس الاسباني الذي يهيء لاستقبالهم أحسن ظروف الراحة والطمأنينة تحت اشراف الكولونيل بلانكو من البوليس السياسي لفرانكو .

وهكذا قطعت مرحلة جديدة في طريق الاعداد للانقلاب الفاشي :

فمن مرحلة « ودادية قدماء موظفي البوليس » الى « وكالة الأسفار » المتخصصة في عبور الحدود ، واعداد الأوراق المزيفة .

هذا الوضع هو الذي يفسر نداء مالرو الذي وجهه في ليلة ٢٤ افريل ١٩٦١ إلى الشعب الفرنسي كي يستعد لمواجهة متمردي ٢٢ أفريل . ان الحكم الذي يفتخر ديغول بأنه « قوي لا يتنازل » وجد نفسه عند ساعة الخطر ، وحيداً لا سند له داخل أجهزة الحكم ، ولا منقذ له من الفاشيين الا الشعب الذي طاب منه أن يقيم السدود في وجه الهجوم الانقلابي ويقاومه بكل الوسائل .

وهذا بالضبط هو ما حمل الملاحظين ، على أن يبتسموا ، بابتسامة السخرية والهزء ، والعجب ، بعد ذلك بأيام قلائل ، عندما أصدرت الحكومة الفرنسية بلاغاً تهنيء فيه قوات الأمن على ولائها .. هذا الولاء الذي لم ينجح في القاء القبض على شبكات البلاستيك رغم تعدد عملياتها وتكاثر جرائمها .

الفصل الرابع

الكنيسة تلعب على عدة حبال

في صباح ٢٢ أفريل ، قام سالان « الجنرال » في ساعة أبكر من الساعة التي كان يقوم فيها .. في هذا الصباح قام على الساعة السادسة بالنزل الذي يقيم به في مدريد ، ونزل إلى الصالون حيث أعلن أنه يريد الذهاب لحضور قداس الصباح في الكنيسة . فاحترم حراسه الأسبان ، هذه الرغبة الدينية ، وهذه التوبة المفاجئة . وتركوه يذهب وحيداً ، حتى لا يضايقوه في لحظات الخشوع .. لكن حراس فرانكو طال بهم الانتظار وتساءلوا هل بلغت حدة العاطفة الدينية التي غمرته الى درجة أن ذاب في الله وفضل الذهاب الى الآخرة ؟ . وبحثوا عبثاً عن سالان في الكنيسة فلم يجدوا له أثراً .. لكن سالان لم يلبث أن ظهر في « آخرته » .. في الجزائر .. وما أن علم فرانكو بفقد سالان ، حتى وجه أضمن رجاله إلى ميناء « اليكانت » . انه عرف أن القضية هامة وخطيرة ، وأن تنظيمها المحكم ، يدل على أن هناك تواطوءاً — على الفرار — في الدوائر العليا .

لماذا فكر فرانكو في ميناء اليكانت بالذات ؟

ميناء اليكانت يقع جنوب فالانس أمام الشواطىء الجزائرية . والحاكم المطلق في هذا الميناء هو السيد سيرانو سونير صهر فرانكو . فكل شيء

في هذا الميناء متوقف على ارادة (السيد) سيرانو. ان كل شيء هنا يخضع لارادة شخص واحد، لا لنظام متعدد الأجهزة، كما هو الشأن في النظام الديمقراطي الذي يطلق عليه سادة اسبانيا اسم «الأنظمة الفوضوية». ان كل شيء هنا يخضع لـ «النظام الأخلاقي» الذي تباركه الكنيسة، ويسهر فرانكو وجهازه على «أخلاقيته» المثالية في نظر دعاة الانقلاب الفاشي: والجهاز البوليسي في اليكانت، يخضع لأوامر أوتوسكو رنيني، صديق سالان.

فمن الطبيعي أن يفكر فرانكو — أول ما يفكر — في ميناء اليكانت: فقد أصبحت اليكانت من زمان حصناً أساسياً في الجهاز الذي أقامته الفاشية الدولية الجديدة، مهمته التخصص في اعانة (الوطنيين) بالجزائر، أي العاملين على تحقيق «الجزائر الفرنسية» رغم «رياح التاريخ» المعاكسة،

وأغلب أصحاب السفن في هذا الميناء لا يفكرون في الصيد البحري، إلا كعمل ثانوي يشتغلون به في الدرجة الثانية. وأجهزة الراديو في هذا الميناء، تلعب دوراً أساسياً في اعداد المأوى للفرنسيين القادمين من الجزائر الذين يريدون التأكد من أن كل شيء جاهز في الشواطىء الاسبانية.

كل هذا يعرفه فرانكو. لذلك أصدر أمره إلى بوليسه بالتوجه إلى اليكانت. لكن أصدقاء سالان كانوا قد توقعوا كل ذلك، فحملوا سالان إلى مطار بالمادي ماجورك حيث أقلته طائرة الى مطار ميزون بلانش بالجزائر رأساً. فلم يجد فرانكو بداً من تقديم اعتذاره المنافق إلى ديغول.

فرانكو والجزائر الفرنسية

ان الجنرال فرانكو لم يكتم عواطفه المؤيدة نحو «الجزائر الفرنسية».. والوقائع التي جدت في اسبانيا خلال العامين الأخيرين، تدل على أن فرانكو متواطىء مع عصابات «الجزائر الفرنسية» وانه يتآمر معها ويعقد الصفقات لضمان المستقبل. صحيح أن سالان صرح في نوفمبر ١٩٦٠ الى صحيفة

الفيغارو منكراً أنه يتآمر في اسبانيا ، فقال : « أنا أتآمر ؟ ولكن مع من ؟ وكيف ؟ هل تعتقدون أني كنت في هذه الحالة سآتي الى هنا بهذه الطريقة المفضوحة ؟ » لكنه لم يلبث أن أضاف : « على أني سعيد بوجودي في اسبانيا وبالاتصال مع الاسبان والتحدث اليهم عن الجزائر » .

وفي نفس الوقت صرح سالان لصحيفة فرانس سوار : « ان الجنرال فرانكو أكد بأن الجزائر فرنسية ويجب أن تبقى فرنسية . ان فرانكو وطني عظيم . انه يعرف الخطر الشيوعي ولذلك فأعتقد انه مستعد للدفاع عن الجزائر الفرنسية . » . وهما تصريحان غنيان عن كل تعليق .

الا أن هذا التأييد الذي تجده المنظمة المسلحة السرية في اسبانيا لا يعني أن متطرفي « الجزائر الفرنسية » لا يجدون العون إلا في اسبانيا فقط . كلا . فلهم قواعد أخرى في أوروبا ، خصوصاً وأن منظمة اليسوعيين السرية التي تؤوي شبكات المنظمة السرية ، تلعب على عدة حبال ؛ ففي نفس الوقت الذي يعمل فيه الدومينكان على ضمان المستقبل من ناحية « الجزائر الفرنسية » يعملون أيضاً على مراقبة حركات الفاشيين لفائدة الحكومة الفرنسية . إذ من يدري ..

ولهذا لا يطمئن رجال المنظمة المسلحة السرية الى فرانكو كما يطمئنون الى سالازار . فهم في البرتغال يشعرون أن الأمن متوفر لهم أكثر من اسبانيا ، وأن مساندة سالازار مطلقة وكاملة ، إلى درجة أن سالازار أبدى استعداده لاقامة جهاز راديو في بلاده تستعمله المنظمة المسلحة السرية في اذاعة شعاراتها .

أما القوات الفرعية الأخرى لهذه المنظمة بأوروبا فتوجد في إيطاليا ، وسويسرا والمانيا وبلجيكا . وهي تسمح بالسهر على تنقلات ضباط التمرد أمثال غودار ، وغارد ، وبروازا ، الذين ينتقلون بكثرة للاتصال بشبكاتهم ، ويدخلون إلى فرنسا من غير أن تتمكن ادارة الأمن الفرنسي ، من العثور عليهم .

ولئن كانت سويسرا في نظر هؤلاء ، هي المكان المثالي لعقد الاجتماعات السرية ، فان بعض الأوساط الثرية في ألمانيا الغربية ، لا تخفي عطفها على المنظمة السرية ورجالها ؛ وكذلك الأمر في بلجيكا ، حيث ازدهرت فكرة الانتقام من مستعمرات الأمس بعد ضياع الكونغو ، وخصوصاً في أوساط الشركات الرأسمالية .

إلى هذه المجموعة من (المؤيدين) في أوروبا الغربية يجب أن نضيف أمريكا التي نجح المتطرفون في استهواء بعض الاختصاصيين منها في الدفاع الأمريكي ، بواسطة اللغة التي يستعملونها ، لأنهم يركزون دعايتهم على « الخطر الأحمر » الذي يدعو العسكريون الأميركان إلى مقاومته بكل الوسائل ولو أدى الأمر إلى قيام حرب عالمية .

من الطماطم الى البازوكا

كلّ هذه التحركات وهذا النشاط وهذه الخلايا والشبكات ، ترتكز في الوقت الحاضر على « الجزائر الفرنسية » وضرورة الاحتفاظ بها ولو أدى الأمر إلى قلب النظام الديغولي .

فكيف أصبحت الجزائر ورقة أساسية في اللعب الفاشي ؟

شرح التطورات التي أدت إلى هذه النتيجة يتطلب كتاباً كاملاً . لكننا نستطيع أن نلخصها في إيجاز ، يعتبر مخلاً في نظر كل من له اطلاع واسع على التطورات الجزائرية .. لكن لا نجد بداً من ذلك .

ترجع أول معركة خاضتها الفاشية في الجزائر الى ٦ فيفري ١٩٥٦ ، عندما نظمت معركة سلمية يمكن أن نطلق عليها (معركة الطماطم) ، ضد غي موللي الذي أعلن آنذاك عن تعيين الجنرال كاترو وزيراً مقيماً بالجزائر وجاء ليتولى بنفسه تنصيبه . لكن الطماطم كانت كافية لإرجاع غي موللي عن رأيه : فقد قلب سياسته رأساً على عقب ، وفتح الطريق للحرب الابادية المطلقة ؛ بعد أن كان أعرب عن بعض الاستعداد لتحقيق

حلّ سلمي للمشكل .

بعد هذا الانتصار السهل ، انصرف الفاشيون الى تحقيق برنامج يتمثل في وضع أيديهم على كلّ المناصب الأساسية ، عسكرية كانت أم مدنية في الجزائر . وعلى هذا الأساس طوروا سلاحهم ، ونظموا في ديسمبر ١٩٥٦ عملية البازوكا لاغتيال سالان الذي كان يبدو عليه أنه مستعد لتنفيذ تعليمات باريس حتى ولو كانت تقضي بالتخلي عن الجزائر .. ونجحت البازوكا مع سالان ، كما نجحت الطماطم مع غي موللي : « فيجب استعمال الوسائل المناسبة مع كلّ شيء . فرجل مائع مثل غي موللي تكفي معه الطماطم ، أما سالان العسكري فالبازوكا فقط هي الكفيلة باقناعه بالانضمام الى المعسكر الفاشي .. في حالة نجاحه من الموت ، وهو ما وقع بالفعل » .

الا أن الحركات المتطرفة كانت عديدة في هذه الفترة . ورغم أنها تلتقي في عدة أهداف ، فإن الحزازات الشخصية كانت تقف حائلاً قوياً دون توحيدها ، لأنها لم تشعر بضرورة ذلك .. لكن الثورة الجزائرية تستمر في تسجيل انتصاراتها ، في مختلف الميادين ، رغم كلّ أرباع الساعة الأخيرة ورغم القوات العسكرية المتضاعفة التي خصصت للقضاء على جيش التحرير الوطني الجزائري .. وعجز المتطرفون ، على اختلاف حركاتهم ، عن فهم « السر » في استمرار هذه الثورة المسلحة .. انهم – وهم العنصريون – لم يستطيعوا أن يفهموا كيف يستطيع العربي أن يقف في وجه الأوروبي رغم تفوق الثاني في العدد والعتاد .. ان انهزام الأوروبي أمام العربي أمر لا تقبله ولا تتصور امكانيته العقلية الاستعمارية التي تمتزج فيها عنصرية الجنس بعنصرية الدين وضيق الأفق بالجهل السياسي . اذن فما هو السر ؟

وأخيراً « اهتدت » الفاشية إلى السر .. والسر في نظرها هو باريس ، هو الجمهورية الرابعة التي تكتلت الفرق المتطرفة ضدها وحطمتها في ١٣ ماي ١٩٥٨ . لكن الوضع لم يتغير .. والكفاح الثوري استمر قوياً رغم ديغول ورغم ألاعيبه ووسائله الملتوية في الخداع والتضليل .. وهنا فكر

الفاشيون في أن السر هذه المرّة ، لا يختلف عن السر في المرة الماضية . انه دائماً باريس .. انه الجمهورية الخامسة التي يجب تقويضها . وخلال هذه الفترة تعززت الاتصالات بين المتطرفين المدنيين والمتطرفين العسكريين . وكانت أداة الوصول بين الطرفين ، هي وحدات الدفاع الذاتي ، التي تتشكل من مدنيين أوروبيين لمراقبة الجزائريين ، والتي تخضع في نفس الوقت للقيادة العسكرية الفرنسية . وشيئاً فشيئاً تكونت جبهة مشتركة عسكرية – مدنية – للدفاع عن « الجزائر الفرنسية » . ثم دعم الالتحام بين شقي هذه الحركة ، السخط المشترك الذي أثارته سياسة ديغول . فالمدنيون والعسكريون يعتبرون ديغول قد لعب بهم عندما أعلن لهم في ١٩٥٨ بساحة الولاية العامة بالجزائر : « لقد فهمتكم » .

وعلى أساس هذا السخط قامت حركة السدود في ٢٤ جانفي ١٩٦٠ التي نظمها لاغايارد وأورتيز تحت حماية جنود المظلات . ولئن فشلت سدود جانفي ١٩٦٠ ، فانها انتهت بمهزلة جعلت الفشل أقرب ما يكون الى الانتصار : فجنود المظلات أدوا التحية للمتمردين وكونوا فرقة مزيفة منهم لمحاربة جيش التحرير ، وأطلقوا عليها اسم «كومندوس الجزائر الفرنسية » الذي ذاب في وادي الزناتي لأول اتصال له مع جيش التحرير ، كما تذوب أصنام الحلوى ، فسارعت القيادة الفرنسية تسحبهم من الميدان واعادتهم إلى منازلهم حيث كانت الأمهات تنتظرهم بالقهوة الساخنة والفراش الوثير .. أما الرؤوس فمنهم من تولى الجيش تهريبهم الى الخارج ، كما فعل مع أورتيز ، ومنهم من أقتيد لمحاكمة هزلية فرّ الى اسبانيا قبل انتهائها كما فعل لاغايارد وسوزيني .

قلنا إن هذه الهزيمة كانت أقرب الى الانتصار ، لأن باريس لم تجرؤ بعدها على اجتثاث أصول التمرد والقضاء عليها نهائياً . ولئن لم تسمح باريس بتكوين جبهة متطرفة في وضح النهار ، فان ذلك لم يمنع المتطرفين من تكوين حركة سرية ، تتعاون مع الجيش ولها عدة أعوان داخل أجهزة

الحكم . داخل هذه المنظمة السرية تحققت « الوحدة » بين كلّ الحركات : من حركة سيدوس الى حركة بوجاد ، الى حركة أورتيز الى حركة روبير مارتيل الى حركة لاغايارد وسوزيني .. لقد ذابت كلها في المنظمة المسلحة السرية على دوي البلاستيك ودقات أواني المطبخ كلّ مساء التي توقع عليها النساء وزن « الجزائر الفرنسية » .

اذن فالجزائر هي القاسم المشترك .. هي « المبرر » الذي يغطي على الخلافات الأخرى بين قادة التمرد .. ورغم أن الحركات التي قبلت بالانضواء تحت المنظمة المسلحة السرية لم تتخل عن شخصيتها ، فان أكثر هذه الحركات تطرفاً ورجعية ، وهي الفاشية ، هي التي تحدد الاتجاه ، وتعطي النغمة السائدة .

وقد وجدت المنظمة المسلحة السرية فرصة متواتية في ٢٢ أفريل ١٩٦١ ، عندما أعلن شال التمرد العسكري فبرز في حذر إلى وضح النهار .. لكن الفشل السريع الذي منيت به محاولة شال وزملائه ، جعلتها تسارع بالانسحاب الى الخفاء ، بعد أن أخذت معها كميات هائلة من السلاح والذخيرة ، من بينها ستة آلاف رشاشة كانت مخزونة في الكوميسارية المركزية وكميات ضخمة من البلاستيك كما أصطحبت معها تسجيلات المكالمات الهاتفية التي تكشف عن المتواطئين مع المتمردين .. فهذه التسجيلات لا تقل أهمية عن أطنان البلاستيك التي أصطحبوها معهم .

الفصل الخامس

الهاربون

نحن الآن في فيلا أنيقة بضواحي العاصمة الجزائرية .. المفروض اننا لا نعرف ما بها .. جرس التلفون يدق في الحاح مقلق .. خطوات امرأة ، تسير بخطوات متزنة لكنها ليست بطيئة .. ترفع السماعة وتقول :

— ألو . فتسمع من الطرف المقابل صوتاً لا تنكره :

— احتراماتي يا سيدتي ، حرم الكولونيل .. أعتذر عن أقلاقكم لأن صديقنا المريض الذي زرناه أخيراً ، وتماثل للشفاء ، مهدد بنكسة .. فيجب أن نكون حذرين .. لا بد أن نتخذ له الاحتياطات حتى لا يدهمه الخطر .. يجب أن تأخذي الاستعدادات اللازمة وتسارعي باخبار صديقنا الطبيب قبل أن يفوت الأوان ..

وانتهت المكالمة عند هذا الحد .

ووضعت حرم الكولونيل السماعة ، ولمعت عند ركني شفتيها ابتسامة تنم عن الارتياح والاعجاب .. وقالت في نفسها بصوت لا يكاد يبين :

— حقاً ان اصدقاءنا في كلّ مكان .. انهم عديدون ومتيقظون .. لقد عاد لي الأمل .. من الممكن أن نسترجع كل شيء ونعوض ما خسرناه .

لكن حرم الكولونيل لم تضع وقتها في هذه التأملات .
لقد كان وراءها أمر هام يجب أن تنجزه .
شخصية هامة تختفي بمنزلها ..
وتوجهت مسرعة هذه المرّة الى « الحمام » فسمعت صوت الماء الذي غطى في بادىء الأمر على دقاتها الباب التي أرادتها رفيقة حانية .. لكن من بالحمام .. لم يسمع الدقات .. لقد كان منصرفاً إلى التمتع بالماء الدافيء .. الا أن الدقات ارتفعت قليلاً ، حتى بلغت أصداؤها أذني المستحم فمد يده إلى الحنفية ، وأوقفها في الحال وقال :
– سيدتي ؟
– هم على الأعقاب .
ولم يستفسر الجنرال سالان – فقد كان هو الشخصية الموجودة بالحمام – عما تعني الكلمة ، فهو أذكى من ذلك .. وما هي إلا بضع دقائق ، ارتدى فيها لباسه ، وألقى فيها نظرة أخيرة على هذا الوكر الذي أصبح الخطر يتهدّده فيه ، بعد أن ظنّ أن اقامته به ستطول .. ومر بعينيه بريق هو مزيج من الخوف والأسف ، ثم اتجه نحو الباب ، وودع السيدة ، وذاب في الطبيعة ..

* * *

كان تمرّد افريل ١٩٦١ آنذاك قد فشل منذ أيام قلائل .. وكان البوليس يبحث عن الجنرالات والكولونيلات الفارين .. وأخيراً اهتدى إلى مقرّ سالان ، لكن دقات التيلفون المنبهة ، كانت أسرع من البوليس مما يدلّ على أن الفارين لهم علاقات متينة بشخصيات تحتل مناصب هامة في الشرطة والادارة الفرنسية بالجزائر .
وفعلاً فقد جاء البوليس بعد لحظات .. لكن البوليس لم يجد أحداً .. ولم يجد بدّاً من أن يقدم اعتذاراته للسيدة حرم الكولونيل ، أن أزعجها بدون موجب ..

* * *

هذه واحدة ..

وفي الأسبوع الأول من شهر جويلية وقعة حادثة أخرى شبيهة بها .. بل أبلغ في الدلالة على ما يتمتع به الفارون من تأييد داخل جهاز الأمن المكلف بتتبعهم والقاء القبض عليهم ..

كان الكولونيل غودار ، في ذلك اليوم بفرنسا . وأرجو أن لا تسألني عن كيفية دخوله اليها ، فلست أعلم كل أسرار المنظمة المسلحة السرية .. فأنا لا أعرف منها إلا ما يفقد صفة « السرية » ويصبح خبراً يذاع وينشر ويمون أحاديث الملاحظين ..

كان الكولونيل غودار يومذاك بفرنسا ذاهباً إلى موعد له مع أحد الرؤوس المكلفة بالاشراف على تنظيم خلايا التمرد .. وكان جالساً في مؤخرة سيارة يقودها ضابط محترف .. وكانت السيارة تسير بسرعة ، جعلتها تخترق الضوء الأحمر .. حادث بسيط لكنه قاد الكولونيل غودار الى أقرب كوميسارية ، لأن سيارته لم تحترم العلامة الحمراء .. الا أن التأكد من شخصيته من طرف الكوميسار ، لم يمنعه بعد ذلك من أن يعود للسيارة ، ويمتطيها من جديد ، ويذهب آمناً ليصل في الموعد مع الشخص الذي ينتظره .

واليك ثالثة ..

وهي أغرب من الأوليين .

في يوم ٩ جوان التقى الكاتب اليميني الفرنسي سيرج غروسار بالكولونيل لاشوروا في باريس .. وتحدث معه ، وجلسا معاً في أحد مطاعم الشانزيليزي .

ولم يخف غروسار هذه الحادثة .. بل أعلنها وأعطى عنها تفاصيل ضافية .. ولم يكن في وسع البوليس أن يسكت بعد ذلك .. فاستدعت ادارة البوليس غروسار ، وحققت معه فيما قال ، فأكده لها من جديد .

فما كان من ادارة البوليس الا أن أصدرت بياناً جاء فيه :

« التفاصيل التي أعطاها غروسار من شأنها أن تشكك كل أحد وحتى غروسار نفسه في صحة ما قاله .. فمن الممكن أن يكون شخصاً آخر أراد

أن يظنه غروسار بأنه لاشوروا .. ان المسألة لا تعدو أن تكون نوعاً من الخيالات التي تتجسم أحياناً حتى تشتبه بالحقيقة » ..

ولو أن القصة وقفت هنا لقلنا من يدري ، لعلّ البوليس على حق .. لكن القصة لم تقف عند هذا الحد ..

فغروسار لم يهضم ما قاله البوليس ..

وأصدر بياناً جاء فيه :

« اطلعت على ما جاء في بلاغ الكوميسارية .

ان هذا البلاغ ليس الا مجموعة من الجمل المزيفة والأكاذيب المتعمدة ..

ان البوليس حاول طيلة ١٣ ساعة أن ينتزع مني بمختلف الوسائل الكلمة التي كان يصبو اليها وهي : كلاّ .. ليس لاشوروا .. حاول طيلة ١٣ ساعة أن ينتزع مني هذه الكلمة ، لم يعطني خلالها قطرة ماء رغم الحرارة .. استعملوا معي الترغيب والكلام المعسول كما استعملوا معي التهديد .. لكني قلت انه لاشوروا .. ان الذنب ليس ذنبي أن تترك الجمهورية الخامسة ، المتمردين عليها ينتقلون بكل حرية في قلب باريس . اني أقول وأكرر اني اجتمعت يوم ٩ جوان في مطعم « مولان والزاس » بالكولونيل لاشوروا الذي تقدم نحوي وجلس إلى مائدتي ، مع اني لم أكن أنتظره . فهل الذنب ذنبي ؟ » .

وبعد هذا ، قرر غروسار في ٢٧ جويلية أن يرفع شكوى ضد كوميسارية البوليس لأنها اتهمته بأنه تخيل شخصاً لم يكن هو ..

* * *

فهل رأيت أغرب من هذا ..

كاتب معروف بأنه يملك قواه العقلية يقول ويؤكد انه اجتمع بالكولونيل لاشوروا .. والبوليس المكلف بالقاء القبض على لاشوروا يقول له : لا ليس هو ولا شوروا ولكنه شخص آخر توهمت أنت أنه هو !.

قصة حسابات جبهة الجزائر الفرنسية

فكرة الرجل الوحيد الذي يقف بمفرده ضدّ الظلم والطغيان فكرة شائعة في القصص البوليسية وأفلام المغامرات التي تأتي في الدرجة الثانية. فمن هو منا الذي لم يؤخذ بقصص (زورو) أو أمير الانتقام وغيرها من الاطارات السينمائية والقصصية التي استغلت هذه الفكرة التي تقوم على أساس واقعي، لكن تطوراتها داخل القصة أو الفيلم تختلف كثيراً عن الواقع .. ففي الواقع لا ينتصر الرجل النزيه الذي يقف في وجه الفساد وقوى الشر دائماً .. ولا يتمكن دائماً من ازالة الأشرار من الطريق ..

والغريب أن مثل هذه الوضعيات الدقيقة تتجدد كل يوم .. ومن يدري، فقد تجد نفسك أنت القارىء في يوم من الأيام، إن لم تكن مررت بهذا الوضع بعد، في مثل هذه الوضعية : أنت وحدك ليس من يقف إلى جانبك إلا « الحق » و « القانون » وجمهرة من الناس يوجهونك ويحاولون زحزحتك عن موقفك ..

هذه الوضعية بالذات وقعت للمسمى مارسيال سابو .. وهو فرنسي كان يشتغل في المحاماة بمدينة ديجون .. وهو محام قديم .. لكنه ترك المحاماة واشتغل موظفاً في إدارة البريد بباريس. وكان ذا منظر عادي، ليس هناك ما يميزه عن ملايين الرجال والنساء الذين يخرجون من ديارهم في الصباح للشغل كي يعودوا اليها في المساء للاستراحة.

لكن الشيء الذي يميز مارسيل سابو في الواقع هو اخلاقه : لقد مكث طيلة عشر سنوات، وهو يتردد على مكتبه بالبريد، في الوقت المعين. وطيلة عشر سنوات كان ينكب خلال أوقات العمل، على عمله في اهتمام المغرق .. نعم طيلة هذه السنوات العشر التي اشتغل فيها مفتشاً بمصلحة الحسابات بإدارة البريد المركزي، لم يخل بواجبه، وكان في الليل يشتغل في اعداد مغلفات للمحامين لإنه يريد أن يتوصل الى توفير كل ما يلزم من أسباب الراحة لزوجته وولده. وقد نجح في تحقيق هدفه الى حد بعيد ..

فقد تمكن من بناء منزل وشراء سيارة بيجو ٤٠٣ الخ .. وباختصار نستطيع أن نعنون هذا الفصل من حياة مارسيل سابو بالعنوان التالي : « سعادة رجل نزيه » .

لكن ما دخل جبهة الجزائر الفرنسية في الموضوع ؟

هنا أستسمحك أن أستعمل معك أسلوب ألف ليلة وليلة في الرواية .. فلنترك مارسيل سابو ولنتحدث عن جبهة الجزائر الفرنسية ..

ـ بعد فشل تمرد جانفي ١٩٦٠ ، وتشتت الحركات الفرنسية المنطرفة ، تكونت حركة أسمت نفسها بـ « جبهة الجزائر الفرنسية » .

وقد اتخذت لدى أول تأسيسها لهجة معتدلة .. أرادت أن تطمئن السلطات الفرنسية .. ونجحت في ذلك .. وهدف هذه الحركة ، هو جمع شتات المتطرفين داخل حركة واحدة ، تتخذ مظهراً سلمياً ، في مرحلة أولى ، ثم تطرح النقاب وتخرج للعمل المباشر علنية . وتضخمت هذه الحركة بكيفية مدهشة فقد كان الضباط الفرنسيون يجمعون بأنفسهم الإشتراكات ويسجلون المنخرطين . وفي كثير من الجهات تحولت مكاتب القيادات الفرنسية الى فروع لهذه الحركة ، تجبر السكان على الانخراط فيها ودفع الاشتراك ..

وتستطيع أن تتصور مبلغ ما جمعته هذه الحركة من أموال ، عندما تعلم أن من دفعوا الاشتراكات ـ عدا التبرعات الخاصة التي تشكل الجزء الأهم من ميزانيتها ـ بلغ عددهم نصف مليون !

ولست في حاجة الى أن أذكر لك بأن الرؤوس الأساسية المسيرة لهذه الحركة هي نفسها التي توجد اليوم على رأس المنظمة المسلحة السرية .. لكن هذه المنظمة لم تكن قد وجدت آنذاك ..

وعندما زار الجنرال دي غول الجزائر في ٧ ديسمبر ١٩٦٠ نظمت هذه الحركة ضده مظاهرات أوروبية ..

ولم يهضم دي غول هذه المظاهرات ، خصوصاً وأنها كانت من بين

الأسباب المباشرة في قيام مظاهرات ١١ ديسمبر الشهيرة التي قوضت السياسة الديغولية من الأساس ، لذلك أمر بحل « جبهة الجزائر الفرنسية » ..

والآن لنرجع ، كما يقول راوي الف ليلة وليلة ، الى السيد مارسيل سابو ..

مهمة مارسيل سابو في البريد كانت تتمثل في مراقبة ملفات الشركات والجمعيات التي تربطها روابط قانونية بمصالح البريد . وعلى هذا الأساس كان يتأمل ، كل صباح « الجريدة الرسمية » الفرنسية ، فيسجل الشركات والجمعيات الجديدة والسلطات المالية الممنوحة لممثليها الخ .. وفي نفس الوقت كان يسجل الجمعيات والشركات المنحلة . فيجمد حساباتها في انتظار تعيين لجنة تتولى تصفيتها .

بهذه الكيفية أطلع مارسيل سابو في عدد « الجريدة الرسمية » الصادر يوم ٢٤ – ١٢ – ١٩٦٠ على قرار يحمل رقم ٦٠١٣٨٧ ، ينص على حل « جبهة الجزائر الفرنسية » .

وعملاً بالقانون جمد مارسيل سابو حسابات « جبهة الجزائر الفرنسية » التي كانت تتجاوز آنذاك ٤٢ مليون فرنك . اما الشيكات والحوالات التي لم تصرف بعد ، فقد وضعها في مظروف ختم عليه ، وأبلغ الأمر الى مسؤوله الأعلى منه ، السيد ليونار وطلب منه أن يلتمس من وزير البريد والبرق موريس بوكانوسكي ، تعيين لجنة تتولى تصفية الحسابات .

لكن يبدو أن السيد ليونار لم يفعل اللازم ..

ومرّت الأيام ..

وقلقت جبهة الجزائر الفرنسية .. فتجميد حساباتها يعني اختناقها ..

وتدخل أحد ممثليها ، لوبان ، النائب المتطرف المعروف وأجرى مكالمة هاتفية مع سابو ودار بين الرجلين الحوار التالي :

لوبان : ما هي قصة تجميد حسابات جبهة الجزائر الفرنسية ؟ من هو الذي أمركم بذلك ؟

سابو : القانون هو الذي أمرني بذلك . فأنا منفذ وكفى .
لوبان : ألا تعرف من أكون .. اني الح على رفع هذا التدبير ..
سابو : مستحيل . إني لو أفعل ذلك أصبح شريكاً لكم . وأنا لا أرغب في الذهاب الى السجن .
لوبان : ان لم تفعل فسأتوجه الى اصدقائي الأعلى درجة منكم .

ويبدو أن تدخل لوبان كان مثمراً .. فحتى يوم ١٦ فيفري ١٩٦١ لم يتصل بسابو أي شيء عن تعيين لجنة التصفية . وبحث عن السبب .. وكم كانت دهشته كبيرة عندما وجد أن الحسابات التي جمدها ذابت من ناحية أخرى وأن جبهة الجزائر الفرنسية اتصلت بما أرادت من الأموال عن طريق مدير مكتب البريد في قسم السين .

واغتاظ سابو .. وثار للقانون المداس .. وحمل الملف وذهب إلى ادارة الأمن الوطني حيث استقبله الكوميسار كافودان . فأطلعه على القضية وقال لـــه :

– جئت لأقدم شكوى بالموظف الذي خالف القانون وأمر برفع التجميد عن حسابات الجزائر الفرنسية .

– ليس من المعقول أن توجهوا تهمة ضد موظف سامي (الكوميسار هو الذي يتحدث) انك تخشى ضياع بقعتك .

– ذلك أمر لا يهمك .. مهمتك هي تسجيل شكواي .

– لو كنت مكانك لرجعت إلى منزلي ، واسترحت بضعة أيام .

لكن سابو أصر على موقفه وأعلمه انه فيما اذا لم تعين لجنة التصفية فسيعين هو محامياً ويعتبر نفسه ممثل الطرف المدني .

وجاء رد الفعل سريعاً : ايقاف مارسيل سابو عن العمل في انتظار تقديمه إلى مجلس التأديب !

لكن سابو قدم شكوى لأنه يعتقد أن الموظفين متواطئون على احباط قرار الحل ، أي حلّ جبهة الجزائر الفرنسية ، وسجلت الشكوى تحت رقم

١١٥١ ، وعينت لجان التحقيق في القضية .

بعد هذه الشكوى تلقى سابو دعوة من السيد غارديلليني مدير مكتب وزير البريد . فذهب اليه يوم ١٦ جوان ١٩٦١ مصحوباً بمحاميه الأستاذ غروبناش . ودهش غارديلليني عندما وجده مصحوباً بالمحامي وقال :

– أريد أن أتحدث معك بمفردك .

– أرفض المقابلة إن لم يكن معي المحامي .

فلوح غارديلليني بيديه في حركة عصبية وقال :

– لكنك لا تعرف ما سوف أعرضه عليك .

الا أن سابو أصر على الرفض . فاندهش مدير مكتب الوزير ، وارتعشت ركبتاه واصفر وجهه ، وكاد يسقط على الأرض لولا أن سارع المحامي الى إسناده :

وانفتحت شفتا المدير في همهمة لا تكاد تسمع ، لتقول :

– طيب سأقول للوزير ..

وفي ٢٩ جوان قدم سابو إلى مجلس التأديب : بتهمة اخلال خطير باللياقة مع المسؤول ، والتدخل لدى وزير الداخلية من غير اطلاع الادارة ، والسرقة « المؤقتة » للملفات .. وحكم عليه المجلس بوقف المرتّب لمدة ستة أشهر ، ونقله خارج دائرته لمدة ستة أشهر .. ولم يصوت ضد هذا الحكم الا مندوب س . ج . ت ..

* * *

وهكذا تقف (العدالة) ويقف القانون ليضرب الذين يحاولون الدفاع عنه ضد من لا يتقيدون بأي قانون .. وهكذا يتبين مبلغ تواطؤ الرسميين مع من يريدون أن يجهزوا على نظام الدولة .

فأي شيء بعد هذا يمنع المتمردين أن يواصلوا عملهم بكلّ هدوء ؟. ولماذا يحاولون والحالة هذه أن يضعوا حداً لنشاط يعرفون أنه ليس هناك

ما يعرقله ؟.

عندما يبول الحارس

بل أن كل شيء يدل على أن العيون التي تسهل لهم العمل موجودة في كل مكان .

فهذا الجيش يمونهم بكل ما يحتاجون اليه من كميات البلاستيك التي بلغت في بعض المرات عشرة أطنان !

وهذا البوليس ينام ملء عينيه على تحركاتهم داخل الجزائر وفرنسا وتنقلاتهم بين الجزائر وفرنسا والخارج .

وحتى حراس البوليس المكلفون بحراسة المباني الرسمية ، والمحافظة على آمن الأشخاص والممتلكات ، ماذا يعملون لحماية السكان في الجزائر من قنابل البلاستيك ؟ لقد حدث في ظرف أشهر قلائل — من ٢٦ افريل الى ١٥ أوت — ١٠٧٢ انفجاراً بالبلاستيك ، ومنها ٥٦٠ بعاصمة الجزائر . فهل ألقي القبض على واحد فقط من أصحاب هذه العمليات الارهابية التخريبية ؟ وأقصد بالسؤال رجال الأمن الفرنسيين .. الذين ألقي عليهم القبض حتى الآن ، وهو عدد قليل ، لم يكن البوليس هو الذي دلّ عليهم ، ولكن السكان الجزائريين هم الذين تفطنوا اليهم وجروا وراءهم .. آنذاك فقط تدخل البوليس لينقذهم من نقمة الشعب ..

وهل تدري ماذا يعمل عون البوليس عندما يشعر أن أحد الارهابيين يحلم بتفجير قنبلة البلاستيك ؟ انه يبتعد الى أقرب ركن ليبول .. وينتظر الى أن ينفجر البلاستيك فينهي مهمته في الركن ويعود إلى مكانه الأول للسهر على الأمن !..

التقليد السطحي

انفجارات البلاستيك هذه تجسم اندماج الحركات المتطرفة المدنية مع المتطرفين العسكريين ، داخل حركة المنظمة المسلحة السرية .

وتعتقد هذه المنظمة أن سر نجاح جبهة التحرير الوطني هو تنظيمها .. وأنه يكفي للحصول على نجاح مماثل أن تقلد جبهة التحرير في أساليبها في الكفاح .. ومن هنا قلدت هذه المنظمة جبهة التحرير في اقامة قيادة جماعية على رأسها ، وفي الاتصال بالسكان والاعتماد على الجماهير .. وحتى في كيفية توزيع المهام وتقسيم مناطق العمل بل حتى في الاسم فالمنظمة السرية تكاد تشتبه في أحرفها الأولى « في اللغة الفرنسية » باسم « المنظمة الخاصة » التي تولّت الاعداد للثورة المسلحة في الجزائر قبل نوفمبر ١٩٥٤ .

وكل شيء من ناحية الشكل يدل على أن هؤلاء المتطرفين يسيطر عليهم نجاح جبهة التحرير ، إلى حد الهوس .. فهم يحلمون ليل نهار بالجبهة .. ويعجبون في أعماقهم بصمودها ونجاحها في تكتيل الشعب وصهره في الكفاح ، وفي تحقيق قوة قال عنها أحد الضباط الفرنسيين الذين حاربوها « انها اكبر وأعمق ثورة في العالم » ، وان « الثورة الصينية هي وحدها التي تجاوزتها كرهان تاريخي وعمل ثوري » ١ . ان هذا « الهوس » بالجبهة ، جعل المتمردين وقادتهم الفارين يتأثرون خطى التنظيم الثوري الجزائري .. ان كلمة « هوس » في هذا المجال ليست في غير محلها ، لأنها تفسر إلى حد بعيد غفلة قادة المتمردين — الذين لا ينقص الذكاء بعضهم على الأقل — عن الجانب المضحك في هذا التقليد السطحي ، وعن افتقاره الصارخ للعمق والشمول والعدالة وكل العناصر اللازمة لنجاح قضية لا تعتمد القوة فقط وسيلة للظفر .. ان هذا الهوس هو الذي جعلهم يعتبرون التأييد الذي يلقونه عند فرانكو وسالازار ، وبعض العسكريين الأميركان والألمان ، كافياً لأن يقف في وجه التحالف الشعبي العظيم الذي يقف وراء ثورة الجزائر والذي ينتظم خطاً يمتد من المغرب الى أندونيسيا ..

---

(١) سرفان شريبر في جريدة « ليكسبرس » ٨ — ٨ — ١٩٦١

اسس السطحية

صحيح أن « الهوس » يفسر الكثير في هـذا الموقف الباعث عـلى السخرية . . لكنه لا يفسر كل شيء . .

فهناك عاملان آخران يلقيان بعض الضوء على هذه السطحية المطلقة التي اصبحت مميزا من أهم مميزات المتطرفين .

االعامل الأول هو سطحية العقلية المنتشرة بين أوروبيي الجزائر الذين يمثلون القاعدة الجماهيرية الوحيدة التي تمد المتمردين بالتأييد والرجال والعون وتنسجم معهم إلى حد محدود .

فوروبيو الجزائر يمتازون بجهل مطبق وغباوة سياسية منقطعة النظير .. انهم يعرفون القراءة والكتابة ، ولا يوجد في الجزائر طفل أوروبي لا يتردد على مكاتب الدراسة . لكن ثقافتهم تقف عند هذا الحد .. انهم ألفوا العيش السهل والحياة الخالية من المشاكل . ان أسلافهم الذين كانوا يتخبطون في البؤس بالألزاس وايطاليا وأسبانيا أو كورسيكا أو بروطانيا ، والذين حمل بعضهم من ظلام السجون أو قيود الأشغال الشاقة لتعمير الجزائر بالأوروبيين والتمهيد لفرنستها – ان أسلافهم أولئك وجدوا أنفسهم فجأة ينتقلون من الجحيم إلى الجنة : الجيش الفرنسي يحميهم والسلطان الفرنسية رهن اشارتهم ، وميزانية باريس في خدمتهم .. أما الأراضي التي يشتغلون فيها ويتوقون إلى امتلاكها ، فليس هناك أية مشكلة من هذه الناحية : مـا عليهم الا أن يمدوا أيديهم الى أراضي العرب ينهبونها بغير حساب ، ويأخذون منها مساحات لا تحدها غير حدود الطمع والاجرام والعجز !

هذه الأسس الموروثة والتي تركت طابعها عند الأجيال الأوروبية التي أعقبت جيل الاحتلال ، هي التي تكون عناصر « الثقافة » التي يتزود منها أوروبيو الجزائر .. انها ثقافة متولدة عن هذه العقلية : العربي لا يعرف أي شيء .. العربي عاجز عن العمل .. العربي كسول بطبعه .. العربي ليس طموحاً للذات الحياة مثل الأوروبي .. العربي يكتفي بقطعة صغيرة من

كسرة الشعير ؛ أما اللحوم والأسماك فهي تؤذي معدته التي لم تتعود إلا على الشعير .. العربي لا يستطيع أن « يفهم » مثل الأوروبي .. العربي مجرم بطبعه .. إلى آخر « المبادىء » التي يلقنها الأوروبي منذ الصغر فتكبر معه ، من غير أن يمحوها التعليم ، لسبب بسيط هو أن برامج الدراسة والتعليم ، لم تضبط على أساس محو هذه العقلية ومحاربتها .

إلى هذه العقلية المتأصلة تضاف المصالح العمياء .. اذن فقد اجتمعت المصالح « والثقافة » على تكوين طبقة سميكة من الجهل السياسي والسطحية .

لذلك لم يستطع أوروبيو الجزائر أن يفهموا مغزى أول نوفمبر ١٩٥٤ .. ولم يستطيعوا أن يهضموا تغيير الأوضاع بكيفية تنال من سهولة العيش التي ألفوها والمصالح التي تعودوا على أن لا تنقص إن لم تزد .. ان تغير الوضع لا يهمهم إلاّ بقدر ما يمس هذه العقلية السطحية النفعية . فهم لم يتأثروا لاحتلال فرنسا في ١٩٤٠ واستطاعوا أن يتجاوبوا بسهولة مع نظام فيشي ، ليس فقط لأن نظام فيشي قائم على أساس عنصري فاشي ينسجم تمام الانسجام مع العناصر التي يتكون منها تفكير الأوروبي بالجزائر ، ولكن على الأخص لأن نظام فيشي لم ينل من مصالحهم الأساسية ، ولم يحملهم على تغيير نظرتهم الى أنفسهم وإلى من حولهم وإلى الحياة ..

أما أول نوفمبر فهو يجبرهم على ادخال انقلاب جذري على أصول تفكيرهم ونظرتهم الى الحياة .. وهذا ما لا يريدونه بأي ثمن ، لأنهم لم يعدوا لمثل هذا التغيير .. انهم يفضلون الهروب باستمرار من الواقع ومن مواجهة الواقع .

الفصل السادس

تطور الجيش الفرنسي

العامل الثاني من عوامل هذه السطحية هو الجيش الفرنسي .

فالاطارات المحترفة في الجيش الفرنسي تكوّن طبقة على حدة .

ان الاحصائيات التي أجريت لمعرفة الأصل الطبقي لهذه الاطارات ، تدل على أن أغلبيتها الساحقة من أصل ارستقراطي ، وأن الاطارات التي تنتمي إلى الطبقة العاملة نادرة جداً ..

فالاطارات المحترفة في الجيش الفرنسي اذن ليس لها أدنى اتصال بالشعب وبردود الفعل عنده ، ولا تتفاعل للتغييرات الاجتماعية التي تطرأ عليه .

يضاف إلى هذا أنها تعيش في عالم خاص ، هو العالم العسكري التقليدي ، الذي يتميز بالعقلية المتحجرة . فاذا جمع هذا العنصر مع سابقه تتولد عنهما عقلية خاصة ، لا تقر حساباً للشعب ولا لمشاغله ، وليس فيها أدنى استعداد للتطور نحو فهم مطالب العصر كما يحس بها الشعب . فهنا اذن حاجز طبقي كثيف بين الاطارات العسكرية الفرنسية المحترفة وبين الشعب الفرنسي .. وهذا الحاجز جعل كلاً من الجيش والشعب يتطور في اتجاه يختلف عن اتجاه الآخر . وهذه الحقيقة تفسر إلى حد بعيد العزلة التي انغلق فيها الجيش الفرنسي

بكيفية منعته من التفاعل والتأثر للتغييرات التي مست الشعب . على أن هذه العزلة لم تكن لها نتيجة سلبية فقط : عدم التفاعل مع التغييرات الجديدة التي دخلت في حياة الشعب ، بل كانت لها نتيجة أخرى ايجابية جعلت الجيش يتطور تطوراً معاكساً لما تفرضه أحداث العصر وتيار التاريخ .

من هنا كان تأثير الحرب بالهند الصينية ، على اطارات الجيش الفرنسي (— التي كانت كلها اطارات محترفة إذ لم يدع المجندون للمحاربة في الهند — الصينية) تأثيراً معاكساً لما كان ينبغي أن يكون .

لقد ذهبت الاطارات العسكرية الفرنسية الى الهند — الصينية مكلفة بمهمة معينة هي تحطيم الثورة الشعبية في الفيتنام ، وتمكين فرنسا من البقاء هناك ..

هدف واضح بسيط في نظر العسكري الفرنسي ذي العقلية التقليدية .

هدف يتأكد هذا العسكري أنه سيحققه بكل سهولة ..

لأنه يعتقد أن عوامل الانتصار كلها في جانبه : العتاد والعدد .. فهذه هي العوامل التي ألف العسكري الفرنسي أن يقرأ لها حساباً منذ قرون . لكن هذه الاطارات العسكرية الفرنسية التي لم تشك لحظة واحدة في انتصارها على الفيتناميين ، اصطدمت بعد سبع سنوات من حرب منهكة بهزيمة عسكرية ماحقة ..

ولم يستطع الجيش الفرنسي — أي اطاراته المحترفة — أن يفهم .. لم يهضم أن ينتهي ، بعد جهود مضنية ، ورغم عدم تكافؤ القوى التي كان يعتقد أن اختلالها لصالحه ، الى الاسر والذل والعار ..

صحيح أن نفس الجيش انهزم أمام الجيش الألماني .. لكن الهزيمة أمام الألمان كانت مهضومة لأنه يستطيع أن يفسرها وفقاً للقواعد التي حفظها : فالجيش الألماني كان أحسن عتاداً وأكثر عدداً وخيراً منه تدريباً .

يضاف إلى هذا أن الجيش الألماني جيش أوروبي ، جيش « أبيض » .. أما الهزيمة في الهند الصينية فهي غير مفهومة عند الضابط الفرنسي لسبب

مزدوج : فالجيش الفرنسي انهزم رغم أنه كان أكثر عدداً وأحسن عتاداً .. وانهزم أمام جنس غير أبيض .. جنس كان يعتقد أن رجاله لا يصلحون لخدمة العسكريين الفرنسيين فضلاً عن أن يصلحوا للحرب ، فضلاً عن أن يهزموا الفرنسيين .

هذه الهزيمة المزدوجة ـ فلا ننسى أن اطارات الجيش الفرنسي من أصل ارستقراطي وذات تكوين عسكري تقليدي أي عنصري بالضرورة ـ خلفت شعوراً بالمرارة عند الضباط المحترفين .

بـــذور

مرارة تضاعفت بعد ذلك عندما اطلع الضباط المحترفون على ما يقوله الفرنسيون ، أي أفراد الشعب ..

فالشعب الفرنسي لم يستقبلهم بعطف وحنو .. والمثقفون الفرنسيون حملوهم مسئولية حرب كان في الامكان الاقتصاد في ضحاياها .. والحكومة الفرنسية التي دفعتهم إلى الحرب دفعاً أول يوم ، لم تحرك ساكناً للدفاع عنهم ..

هنا لم يتساءل الضباط المحترفون عن السبب في هذه الهوة ، وفي هذا الفارق .

لم يحاولوا أن يتفهموا البواعث الكامنة وراء نظرة الشعب والمثقفين اليهم ..

لم يحاولوا أن يتعمقوا العوامل التي حملت باريس على تغيير موقفها ..

لم يجهدوا أنفسهم لكي يفهموا التغييرات الطارئة على العالم والتي حدث دون أن ينتبهوا لها ، لأنهم كانوا عنها في عزلة داخل الاطار التقليدي الذي فرضته مجموعة من التقاليد البالية والنظرة العنصرية ..

وهكذا قامت مرارة تبلورت بعد ذلك سخطاً على الحكم السياسي في باريس ، وسخطاً على الأحزاب السياسية التي تسير الجماهير الفرنسية

وتكييف مشاعرها ، وسخطاً على الشعوب « غير البيضاء » التي يعتبرونها من جنس أسفل وينظرون اليها كلها نظرة واحدة ، لا فرق بينها سواء كان في آسيا أو في أفريقيا .

لكن السخط شعور سلبي لا يمحو مرارة الهزيمة ، ولا يمحو العار عند العسكري الذي لا يؤمن إلا بالعمل والحركة ..

لهذا كانت الخطوة المنطقية التالية ، بعد السخط على الجهاز الحاكم والجهاز السياسي ، التمرد على الأول والقضاء على الثاني ..

وعزز شعور التمرد هذا أن الجيش الفرنسي اصطدم في الجزائر بنفس الهزيمة التي حطمته في الهند الصينية .

ظن في بادىء الأمر أنه في حاجة إلى القوة فطلب المدد .. وجاءه المدد .. ثم ظن أن المسألة ترجع الى أسلوب الحرب وأن فشله يرجع الى كونه يواجه حرباً ثورية بأساليب الحرب التقليدية . فغـيرّ الاسلوب ، وكوّن فرق « الكومندوس السود » في ١٩٥٦ التي حاولت أن تقلد فرق الثورة في اسلوب حياتها وفي اتصالها بالسكان .. وكانت هذه « الفرق السود » هي الحلقة الأولى في سلسلة المحاكاة والتقليد السطحي للثورة .. ثم اعتقد الجيش الفرنسي انه لا بد من تكييف جهاز الحرب حسب متطلبات الحرب الجزائرية ، فطائرات المطاردة والقذف الجوي لا يحتاج لها مثل حاجته الى الطائرات العمودية .. والطائرات العمودية العادية لا تنفع لأنها هدف سهل لرصاص جيش التحرير .. فلا بد من صنع طائرات عمودية مصفحة ، لا يؤثر فيها رصاص الرشاش ، ومزودة بالمدافع الرشاشة ، ومختلف المقذوفات النارية ، وكل هذا تطلب مجهودات فنية ضخمة ومجهوداً مالياً جباراً ..

ومع ذلك لم يتوصل الجيش الفرنسي الى نتيجة ، ولم ينجح في فرض الانتصار الذي يريد .. لقد جرّب عمليات الراتيساج .. جرب تخريب المداشر والقرى ، جرب تدمير المساكن على من فيها .. جرّب القتل الجماعي والارهاب الأعمى .. جرب تجنيد الجزائريين في صفوفه بالقوة .. فلما

لم تنفع معهم القوة خوّفهم بالعار .. فأخذ يحشد الرجال ، ـ الرجال في القرية ، ويقيدهم بسلاسل وحبال ، ثم يأتي بالنساء : أمهاتهم وأخواتهم وزوجاتهم وبناتهم ، ويطلق عليهن جنوداً فقدوا شعور الانسان ، ينتهكون أعراضهن على مرأى من الأب والزوج والأخ .. ويستمر الأمر كذلك ليالي طوالاً إلى أن يقبل سكان القرية من الرجال بتجنيد بعضهم في ما يسمونه « فرق الدفاع الذاتي » اعتقاداً منهم أن الجزائري لا يقهره إلا الجزائري ..

جربوا كل ذلك ، فكانت النتيجة دائماً لا تختلف : هزائم متوالية ومجهودات تذهب مع الريح ..

ومرة أخرى لم يستطع الجيش الفرنسي أن يهضم هزيمته رغم تفوقه في العتاد أمام جنس من أفريقيا !

ومرة أخرى فكر في التمرد ضد باريس ، ومحق النظام الذي يعتقد أنه هو المسؤول عن هزائمه .

والتفكير في التمرد دفعهم إلى التفكير في السياسة .. لكنهم فكروا في المشاكل السياسية بالعقلية العسكرية التقليدية المتحجرة ، فجاءت حلولهم كلها مطبوعة بطابع الرجعية الفاشية والعنصرية الدينية وراحوا ، قبل اعلان التمرد ، يبحثون عن حلفائهم الطبيعيين ، من فرانكو إلى سالازار ، إلى حكام جنوب أفريقيا إلى المتطرفين العسكريين في الدفاع الأميركي والمانيا الغربية ، الى رواسب الفاشية في ايطاليا .

ذلك أنهم شعروا أنهم بحاجة إلى مذهب ، إلى ايديولوجية يبررون بها سلوكهم ، الى برنامج يقدمونه إلى من يحاولون اقناعه بالانضمام اليهم .. انهم توهموا أن تطبيق هذه الايديولوجية الجديدة كاف في تحقيق الانتصار المستحيل ..

لكن تطبيق هذا المذهب يستلزم الأمساك بزمام الحكم ، والامساك بزمام الحكم يتطلب حداً أدنى من التأييد في الخارج .. نظراً لأصل التكوين

الفكري عند الضباط المحترفين ، فقد وجدوا أن أقرب الأفكار اليهم هي أفكار الجناح الأيمن في المسيحية التي لا تختلف عن أكثر الأفكار رجعية فاشية .

ومن هنا نجد أن مذهب هؤلاء المتطرفين يمكن أن يتخلص في الفكرتين التاليتين :

« أفريقيا الشمالية ، أصبحت اليوم ميدان المعركة التي يتقرر فيها مصير فرنسا بل ومصير أوروبا والغرب المسيحي .. إن معركة اليوم هي معركة الصليب ضد الهلال .. الهلال الذي قذف به في خط النار قائد النجمة الحمراء والمطرقة والمنجل .. » ١ .

والفكرة الثانية يلخصها جورج سوج في العبارات التالية :

« ضد الانقلاب الحديث الذي يجد في الشيوعية أوسع مجالات التعبير وأكملها وأقواها ، لا يوجد إلا سلاح واحد هو كنيسة المسيح ، الكنيسة الرومانية الكاثوليكية .. فمذهبها المحكم وجهازها الجبار هما وحدهما القادران على تحطيم الجهاز الماركسي ، اللينيني » .

وجورج سوج هذا معروف باتصالاته مع الكنيسة الرومانية ، وبصداقته مع الكولونيلات الفارين ، الذين كان مستشارهم الخاص ، عندما كانوا على رأس المكتب الخامس ، وقد ألقى في الماضي عدة محاضرات في الأندية العسكرية شرح فيها هذه الفكرة .

(١) جان لوفيفر في مجلة (الفكرة المسيحية) المجلد الثاني من سنة ١٩٥٨ .

الفصل التاسع

الحلفـــاء

هذه الظروف من الهند الصينية إلى الجزائر ، ولدت الفاشية الفرنسية ، أو بعبارة أدق أعطتها نفساً جديداً انبعثت به من موت أو مما يقارب الموت ، إلى أن أصبحت قوة تهدد الجمهورية الخامسة .

لكن هذه الفاشية وجدت أن الجهاز الغربي كله أصبح متداخلاً متشابك المصالح إلى درجة تجعل الاصطدام بنظام باريس ، يعني الاصطدام بجهاز الحلف الأطلسي أمراً لا مفر منه .. وهنا وضعت الفاشية الفرنسية اصبعها على خلل باريس في حساباتها .. فلا بد من ضمان الجهاز الأطلسي ، أو على الأقل ، لا بد من ضمان حلفاء داخل الجهاز الأطلسي يضمنون للحركة التي تنطلق ضد ديغول ، الاستمرار والدوام .

ولئن كانت ظروف الفشل الفرنسي في الهند الصينية والمغرب العربي هي التي عززت هذه النفسية الفاشية عند العسكريين الفرنسيين ، فان انسحاب بلجيكا من الكونغو ، بكيفية كانت تظن انها أضمن الطرق لعودتها من جديد ، وفشل هذا الحساب المكيافيلي وتدخل الأمم المتحدة بقوات معظمها يتركب من جيوش العالم الثالث خلّف عند البلجيكيين العسكريين والمدنيين اليمينيين

منهم نفسية لا تبعد كثيراً عن نفسية لاشوروا وغودار وغارد .. كما ان الانهزامات التي منيت بها أميركا في الشرق الأقصى وفي الشرق الأوسط رغم ما تتمتع به الحكومة الأمريكية من قوات عسكرية ضخمة وسلاح ذري ، وقواعد حربية في كل مكان ، خلق عند العسكريين الأميركان شعوراً بالمرارة والسخط ، جعلهم يبحثون عن سبب هذه الهزائم ، في الميدان السياسي ، ما دام الميدان العسكري لا يمكن أن تتوجه نحوه التهمة . وانتهى هؤلاء العسكريون الى نتيجة تقرب من التي انتهى اليها الضباط الفرنسيون وهي : لا بد من اقرار نظام قوي ، وكنس النظام الديمقراطي أو الاستيلاء عليه من الداخل .

وهكذا وجدت الظروف الخارجية التي تسمح للفاشية الفرنسية بايجاد حلفاء في أوروبا وأميركا تتكون منهم الواجهة الجديدة .. وفي هذه الحالة ، يتحول جهاز الحلف الأطلسي الى اداة تخدم مصالح الفاشية العالمية الجديدة عوض أن يكون عائقاً يقف في طريقها .

الفاشية في اميركا

في يوم ١٥ أفريل ١٩٦١ ابتدأت عمليات الغزو ضد كوبا .

وبعد ذلك باسبوع حدثت المحاولة الانقلابية التي قادها شال في الجزائر .

هذا التقارب الزمني بين الحادثتين اليست وراءه عوامل وأسباب أم أنه محض صدفة ؟

كان من الممكن أن نميل الى التعليل بالصدفة ، لو لم تكن هناك أوجه شبه أخرى بين الحادثتين .

— فمنظمو محاولة ٢٢ أفريل اشتهروا بأنهم من الاختصاصيين في الحرب النفسية وأساليب الحرب الثورية . وتتلخص نظريتهم في أن الاستعمار الغربي لم ينهزم في الهند الصينية وفي الصين الشعبية وفي المغرب العربي وفي الشرق الأوسط ، الا أن الغربيين لم يستعملوا أساليب الحرب الثورية التي

استعملها أعداؤهم . ويستنتجون من ذلك أن مجرد تقليد « العدو » في أساليبه الحربية كاف لأن يحقق لهم الانتصار . فهم لا يسلمون بحتمية انهزام الاستعمار ولكنهم ينسبون ذلك الى جهل « المسيرين » بأساليب الحرب الثورية . وعلى هذا الأساس بنوا برنامجهم التمردي لكنهم لم يقروا حساباً للشعب لا في الجزائر ولا في فرنسا ، وظنوا أن مجرد التمهيد « الفني » للانقلاب بعمليات البلاستيك كاف لإنجاح خطتهم .

ونفس المظهر نلمسه في العدوان على كوبا .

فغزو كوبا اعده الاختصاصيون في المخابرات الأمريكية ومهدوا له بعمليات تخريبية فوق التراب الكوبي .

كما أن الاختصاصيين الأميركان أعدوا كل شيء لنجاح العملية من رجال ودعاية وسلاح ، لكنهم نسوا بدورهم ، العنصر الوحيد الأساسي وهو الشعب .

– كولونيلات الحرب النفسية مهدوا للانقلاب بتنظيم عصابات مسلحة تعمل في بعض جهات الجزائر ، ظانين أن مجرد التشبه بعصابات جيش التحرير يضمن الانتصار على جيش التحرير .

ونفس الظاهرة نلمسها عند غزاة كوبا : فهم بدورهم مهدوا للغزو بتنظيم عصابات مسلحة في غابات لاسييرماسيترا التي كانت مهد عصابات فيدال كاسترو .

– وجه شبه ثالث بين العمليتين : متمردو ٢٢ أفريل نظموا تمردهم باسم الدفاع عن الغرب ضد الشيوعية . وليس من محض الصدفة أن يختار كولونيلات التمرد موريس شال المعروف بتبنيه للنظرية الأميركية في ادماج قوى الحلف الأطلسي (وهو عكس ما يراه ديغول) ليكون على رأس التمرد . ومعنى ذلك أن « اختصاصي » الحرب الثورية أرادوا أن يقدموا للغرب ضمانة تبرهن على اخلاصهم للدفاع الأطلسي الغربي .

ونفس الفكرة ، فكرة الدفاع عن الغرب ضد الشيوعية ، نجدها هي

« المبرر الأخلاقي » الذي تبرر به أميركا عملية الغزو ضد كوبا .

– التناقض الصارخ في نظريات المتمردين الفرنسيين : فهم عندما يتعلق الأمر بغير الجزائر يعتبرون الشعور القومي مثل الشعور الديني درعاً حصيناً يجب استغلاله ضد الشيوعية – أي أنهم يستعملون في مقاومة التيار الشيوعي نفس الفكرة التي يحاربونها في الجزائر – ولو لم يكن تحليلهم سطحياً لأدركوا بسهولة أنه ليس في الامكان أن يحاربوا الشعور الوطني القومي في الجزائر ما دام أقوى تأثيراً وأقدر على تجميد الطاقات حتى بالنسبة للشيوعية نفسها . لان القومية اما أن تكون هي الأقوى فمن المستحيل الانتصار عليها في الجزائر ، وأما أن تكون هي الأضعف ، وفي هذه الحالة ما هو الداعي للاعتماد عليها في مواجهة الشيوعية بأوروبا الغربية ؟ ومعنى ذلك بعبارة أخرى ان منطقية استعمال التيّارات القومية ضد الشيوعية كان يؤدي بدعاة الحرب النفسية لولا سطحيتهم الى الاعتراف بالشعور القومي والتسليم باستقلال الجزائر ؟

وكذلك الأمر بالنسبة للمعتدين على كوبا . ففي الوقت الذي تعلن فيه أميركا أن سياستها الجديدة تهدف إلى التعاون مع البلدان الناشئة في أفريقيا والتعاون مع البلدان المحايدة في العالم الافريقي – الآسيوي ، نجدها ترفض فكرة الحياد عندما تستقر في كوبا وتوالي الضغط عليها بطريقة تدفعها دفعاً إلى الشيوعية .

– وهناك وجه شبه خامس : كولونيلات ١٣ ماي ١٩٥٨ و ٢٢ أفريل ١٩٦١ ركزوا برامجهم حول المساواة الاجتماعية (في ظل السيادة الفرنسية) واستوردوا بعض الشعارات الاشتراكية لاستعمالها في جهازهم الدعائي ضد جبهة التحرير (التي تريد أن تلقي بالجزائر ثم بأفريقيا في أحضان الشيوعية) كما يقولون .

وفي كوبا نجد الخارجية الأميركية أصدرت قبل الغزو بحوالي الاسبوعين كتاباً أبيض أسمته « خيانة الثورة الكوبية » . وبعد ذلك جاء الغزو بعنوان

« انقاذ ثورة كوبا من انحرافية كاسترو الشيوعي الذي يريد أن يفتح أميركا اللاتينية كلها في وجه الشيوعية ».

* * *

هذه بعض أوجه الشبه — وليست كلها — بين حادثتين متقاربتين في الزمان ، احداهما نظمها الفاشيون الفرنسيون والأخرى نظمتها أميركا .. وهذا التشابه يدفعنا إلى التساؤل عما وراءه .. لأنه ليس من الممكن أن يكون تشابهاً عرضياً .. انه يدل على وجود تشابه أعمق .. يكشف عن وجود بذور فاشية في أمريكا .. ويحمل على الاعتقاد بأن الميول الفاشية هذه نجحت في التسرّب إلى الأجهزة الرسمية الأميركية ، وإلى الجهاز العسكري بصفة خاصة ..

جوهن بيرش سوسيتي

صحيح أن التساؤلات وأوجه الشبه ، وما يتولد عنها من احتمالات ، لا تكفي في اثبات هذه البذور بأميركا ..

لكن هناك معلومات ووثائق تثبت بالفعل هذه « التكهنات ».

ففي الصيف الماضي فقط ، صيف ١٩٦١ أصدر الرئيس كنيدي عقوبات ضد الجنرال والكير ، لأنه وزع على فرقه المستقرة في المانيا مطبوعات منظمة أميركية تحمل اسم « جوهن بيرش سوسيتي ».

فمن تكون هذه المنظمة ؟

ان التعريف بهذه المنظمة يكشف وحده ليس فقط عن وجود حركة فاشية في أميركا ، ولكنه يكشف أيضاً عن الظروف التي تولدت فيها هذه الحركة ، ومبلغ التشابه بين برنامجها وبرنامج المنظمة السرية الفرنسية .

سر الاسم

جوهن بيرش مبشر أميركي شاب كان يشتغل في الصين . ووقع في أسر

الشيوعيين سنة ١٩٤٤ ، بينما كان يتجسس مع بعض الضباط الأميركان لفائدة الحلفاء . وأعدم جوهن بيرش رمياً بالرصاص بينما حكم على رفاقه بالسجن فقط .

ويؤكد الذين عرفوا جوهن بيرش أنه كان شخصاً سريع الانفعال سريع الغضب وأنه شتم الشيوعيين الصينيين واستفزهم .

هذا هو الشخص الذي أختير اسمه بعد مقتله بثلاث عشرة سنة ، ليكون عنوان منظمة فاشية أميركية أسسها روبير وبلش .

ففي ١٩٥٨ أسس روبير وبلش منظمة « جوهن بيرش سوسيتي » ، في بلدة يلمونث بولاية المساشوسيت ، حيث يوجد مركز المنظمة ، على بعد نحو عشرين كيلومتراً من مدينة بوستن : دار صغيرة ، ذات طابقين ، هو مركز قيادة المنظمة الفاشية . ولئن كانت أميركا هي البلد الذي يستطيع فيه المرء ، من غير كبير صعوبة ، أن يصافح الرئيس الأميركي أو السيد روكفللر فانه ليس من السهل أن يدخل المرء إلى هذه البناية .. ان أدنى شك في الزائر يحمل الحراس على اقتياده بلطف إلى الخارج . ان لم يكن صحافياً .. أما أن كان صحافياً فلن يكلفوا أنفسهم عناء تصنع اللطف معه .. أما ان نجحت في اقناع الحراس بأنك سمعت عن « المنظمة » وأنك تحمست لها ، وتريد أن تطلع على براجمها ، فسينفتح أمامك باب المنزل ، وستتمكن من مشاهدة كل الغرف حيث يوجد ٢٨ ضارباً على الراقنة وسيتعهد بك شخص خاص يشرح لك أهداف المنظمة ثم يطلب منك دولارين ثمن « الكتاب الأزرق » ودولاراً ثمن « مجموعة النشرية لسنة ١٩٦١ » ونصف دولار مقابل نشرية تصدر بغير انتظام وتحمل اسم « رأي أميركي » .

داخل الجيش

ظاهر هذه المنظمة ليس فيه ما يخيف .. فأميركا مليئة بالمنظمات التي تختفي وراء عناوين دينية مختلفة ، والتي تختلف مهامها من خدمة عقيدة

ما الى استغلال الشعور الديني لنهب أموال الأغنياء..

لكن منظمة «جوهن بيرش سوسيتي» ليست مثل هذه.

ان التحقيق الذي نشرته صحيفة «نيويورك تايمس» بعد صدور العقاب ضد الجنرال والكير يدل على أن والكير هذا لم يكن العسكري الوحيد الذي يعنى بمطبوعات ومنشورات روبير ويلش. بل لقد تبين أن هناك عدة ضباط سامين كثيراً ما يلقون على فرقهم وعلى المدنيين خطباً لا يختلف محتواها عن محتوى مطبوعات المنظمة الفاشية الأميركية.. وخطب هؤلاء العسكريين تعتمد هي أيضاً نفس نظريات «الحرب النفسية» التي يدعو اليها كولونيلات ١٣ ماي في فرنسا.. ولئن كانت تهم كولونيلات ١٣ ماي ضد الجنرال ديغول بأنه يخدم ركاب الشيوعية - لئن كانت هذه التهمة تحمل على السخرية والضحك، فينبغي أن لا ننسى أن ذلك لم يمنعهم من تشكيل منظمة قوية ما تزال تهدد ديغول.. ونفس الملاحظة يجدر تسجيلها بالنسبة لأميركا. فروبير ويلش صرح عدة مرات بأن «الجنرال ايزنهاور» عضو في الحزب الشيوعي، وأن شقيقه مليتون إيزنهاور هو مسؤوله المباشر داخل الحزب الشيوعي، بل أنه أكد غير مرة بأن «ترومان وفستر داللس كانا من بين الأعضاء البارزين داخل الحزب الشيوعي».

ان هذه التهم السخيفة لم تمنع المنظمة الفاشية الأميركية من أن تضم حولها نحو المليون مشترك.. انها لم تمنع أحد زعماء الجناح الأيمن في الحزب الجمهوري، وهو السيناتور غولد واتر الذي يقال انه يملك فرصاً عديدة ليكون مرشح الحزب الجمهوري لانتخابات ١٩٦٤ - لم تمنع هذا الزعيم الجمهوري، من التصريح بأنه يعطف على منظمة «جوهن بيرش سوسيتي» وأنه يتعاون معها في محاربة الشيوعية، وأن ولايته، ولاية الأوريزونا يوجد بها فرع للمنظمة يضم «عدداً من خيرة السكان وأحسن عناصرهم». كما صرح أيضاً هذا المرشح المحتمل للرئاسة الأميركية بأنه لا يرى «مانعاً من أن يتولى الضباط العسكريون تسيير التوجيه والتكوين السياسي داخل الجيش

وبالنسبة لكل المواطنين .. »

اذن فتصور الفاشية في أميركا ، ليس تصور حالة مستحيلة أو نظرية مجردة ، ولكنه تصور لخطر حقيقي يعتمد على عناصر واقعية .. انه يكفي أن يتولى الرئاسة الأميركية رجل مثل غولد والتر ليفتح أجهزة الحكم أمام عناصر المنظمة الفاشية الأميركية .. ويكفي أن يتم ذلك لكي يصبح العالم كله في خطر .

كيفيه المشاركة

ولكيْ تتكون لدى القارىء فكرة عن هذه المنظمة الفاشية ، نقدم له بعضاً من أوجهها ..

ليس في متناول أي أحد أن يصبح عضواً في هذه المنظمة .. فكل مرشح أو متطوع في صفوفها يجب أن يمر بامتحان يدوم ثلاث ساعات .. الساعتان الأوليان يشاهد خلالهما فيلماً يظهر فيه روبير ويلش مؤسس المنظمة وهو يتلو النص الكامل « للكتاب الأزرق » وخلال الساعة الثالثة يقص المرشح للمنسق الذي يتولى امتحانه — يشرح له حياته ومعتقده السياسي ، فإن تبين أن المرشح « رجل طيب » وكفى يرفض في الحال . ان زعماء المنظمة يعتبرون أن الأعتناء بهؤلاء مضيعة لوقتهم . انهم يصرحون : « الذي يهمنا هي أن نشرح للأعضاء ما هي الشيوعية . اننا نريد رجالاً يعرفون حقيقتها ويريدون أن يكافحوا معنا ضدها .. ان الوقت لم يعد وقت خطب ، ولكنه وقت عمل وحركة . »

وإذا قبل المرشح يجب أن يدفع ثمن مشاركته ٢٤ دولاراً في العام إن كان ذكراً و ١٢ دولاراً إن كان من الجنس اللطيف . (والملاحظ أن المنظمة لا تقدم أي تفسير لهذه التفرقة بين الجنسين) ومبالغ هذه الاشتراكات بالاضافة الى أثمان المطبوعات ، تمثل ميزانية الحركة التي تبلغ حوالي الثلاثين مليون دولار سنوياً ، ما عدا الهبات والتبرعات الخاصة . لكن المنظمة لا

تعطي أية بيانات لأعضائها عن الميزانية . وهي تبرر ذلك بأن « الكشف عن موارد الميزانية يؤدي الى اطلاع الشيوعيين على معلومات يستغلّونها ضدّنا » .

وبعد أن يؤدي المنخرط الجديد اليمين للعلم تعطى له قائمة تشتمل على مهامه الجديدة ، وهي تشتمل في العمل على :

— اقامة مراكز للمطالعة في مدينته توضع بها كتب المنطق «كي تصحح المعلومات والأفكار الخاطئة التي توجد في الكتب اليسارية » .

— توزيع المطبوعات اليمينية .

— كتابة رسائل لتهنئة الشخصيات المعروفة بعدائها الشديد للشيوعيين .

— تشجيع كلّ الذين يدعون الى « أميركا الأميركية » .

— فضح كل الشيوعيين وحلفائهم .

— تنظيم لجان خاصة تعمل على تحقيق أهداف تساير أهداف المنظمة ، مثل لجنة معارضة تثقيف الحونة على نفقة الحكومة الخ ..

وتعتبر هذه المنظمة أن الحركة ضد التمييز العنصري تخدم أهداف الشيوعية ويسيرها شيوعيون .

أما الأفكار الأساسية التي تركز عليها مطبوعات المنظمة دعايتها فهي تتمثل في توجيه نداءات لمحاربة « الهيئة القومية للكنائس » — « الغرفة التجارية الأميركية » ولمقاومة شخصيات معروفة مثل والتير ليبمان الصحافي الأميركي العالمي ، وكابوت لودج ، وكريستيان هيرتر ، وهامرشولد وروكفللير كما توجه نداءات من أجل استئناف التجارب النووية ومن أجل تأييد سيغمانري ، الرئيس السابق لكوريا الجنوبية .. وتصدر نشرات تنوه بذكرى السيناتور تافت (الذي فشل في محاولة ترشحه للرئاسة الأميركية ضد إيزنهاور في ١٩٥٢) وذكرى ماك كارثي ..

وموقف المنظمة من حكومة كيندي واضح .. فهي تقول في أحدى نشرياتها التي ظهرت في جويلية ١٩٦١ :

« يكفي ن نطالع أسماء الذين أسند لهم كنيدي المسؤوليات الهامة لكي نتبين الحقيقة ، انهم ، سواء كانوا شيوعيين أم لا ، يؤيدون حكومة عالمية اشتراكية » وتعارض المنظمة الفاشية في ندوات الأقطاب لأنها تعتبر أن هدفها الأساسي بيع برلين للشيوعيين » .

من طرق العمل

وتعتمد « جوهن بيرش سوسيتي » عدة طرق للدعاية ، والانتشار ، ومن بين هذه الأساليب توجد « حملة التلفون » وهي تتمثل في أن عشرة من المنخرطين في المنظمة بمدينة ما يكلم كلّ أحد منهم عشرة أشخاص بالتلفون مشهراً بالموظف أو الأستاذ الفلاني الشيوعي ، ثم يطلب من كلّ واحد من العشرة أن يكلم عشرة آخرين ويطلعهم على « الحقيقة » . وبهذه الطريقة لا تكاد تمر أربع وعشرون ساعة حتى تكون الحملة قد شملت عشرات الآلاف .

وبهذه الطريقة أجبر أستاذ التاريخ ، هنري سانت اونج في مدينة تاشفيل ، على الاستقالة كما أن بول ميللر الذي كتب مقالاً ضد منظمة جوهن بيرش يؤكد فيه أنها منظمة فاشية ، تلقى رسائل تهديد ، ثم فقد قسماً هاماً من زبائنه (وهو طبيب) . والزعيم النقابي وليام هندل الذي كان يستعد لالقاء محاضرة في جامعة كولومبس ، منع من الدخول للجامعة في آخر لحظة بعد تدخل المنظمة .

وأمثال هذه الحوادث التي تذكر بعهد ماك كارثي كثيرة .

أما عن كيفية توجيه المنخرطين ، فمن الصعب حضور محاضرات الزعماء الفاشيين الأميركان . انهم يجرون مراقبة دقيقة بحيث لا يتمكن من الدخول إلا المنخرطون المخلصون .. انهم لا يريدون معارضة ولا انتقاداً ولا سؤالاً متشككاً ..

ولا يتحرج روبير ويلش من أن يعترف بصراحة بأن هذه الوسائل

غير الديمقراطية ضرورية لحفظ الحركة ، انه يؤكد :

« لسنا حركة ديمقراطية ، بل ان مهمتنا تتمثل في تذكير مواطنينا بهذه الحقيقة . ان الديمقراطية هي حكم الأغلبية من غير ضمان للاقليات ، لكن الأغلبيات عابرة . ولهذا يعد النظـــام الديمقراطي أحسن نظام يلائم حركات الشيوعيين لاعداد الانقلاب » .

ولا يخفي روبير ويلش في « الكتاب الأزرق» اعجابه بشخصيات مثل باتيستا وتروخليو وفرانكو. أما هتلر فقد كتب عنه « هتلر أحسن من ستالين . ان هتلر كان يشعر بعذاب الضمير إثر كلّ عملية تقتيل جماعي . أما ستالين فلم يكن يشعر بهذا العذاب .. » .

ألا يذكرك الحديث عن « تعذيب الضمير » بالنسبة لهتلر بما كتب عن الجنرال ماسو من أنه كان يجرب الكهرباء قبل أن يعذب بها الوطنيين الجزائريين لأنـــه كان يشعر بـــ « عـــذاب الضمير » بوصفه « مسيحياً مثالياً » . ؟

وكما نجد شخصيات دينية مسيحية في فرنسا تبرر عمل المظليين في الجزائر ، وتحاول أن تسكب عليها طابعاً اخلاقياً ، نجد في أميركا شخصية مثل الكاردينال كوشينغ يقول في احدى مواعظه :

« لا أعرف رجالاً مخلصين في مقاومة الشيوعية مثل أعضاء جوهن بيرش سوسيتي . وأنا أتحمل مسؤولية نصحكم بالانضمام اليهم . » .

كما أن الفريد كوهلير الذي كان من أعضاء ماك كارثي ، والكولونيل لاورونس الذي اشتغل مع ماك كارثي طيلة عشر سنوات ، وكلارانس ماريسون الذي طرد من ادارة ايزنهاور لأنه قام بحملة واسعة داخل حكومة واشنطن من أجل قطع العلاقات الديبلوماسية مع موسكو والقاضي فيليس من ولاية الأريزونا المعروف بعنصريته ومقاومته لأحكام المحكمة العليا فيما يتصل بالتمييز العنصري .

كل هؤلاء من دعائم وأنصار الحركة الفاشية في أميركا .

بين نيويورك ولوس أنجلس

لكن هذه الحركة لا يسمع عنها القراء في العالم العربي كثيراً. فكيف يفسر السكوت عنها أو الجهل بها رغم الخطر الذي تمثله ؟

إن تفسير ذلك بسيط !

ان الأفكار التي يأخذها العالم عن أميركا يستقيها غالباً من مصدر واحد : هو نيويورك .

ونيويورك تعتبر أن منظمة « جوهن بيرش سوسيتي » ليست إلا نوعاً من الحركات التفهة السطحية التي لا تمثل خطراً . في حين أن الضفة الغربية الأميركية الأخرى ، لوس أنجلس مثلاً ، تنظر إلى « جوهن بيرش سوسيتي » نظرة مخالفة تماماً . فهي هناك تتمتع بتأييد أقوى الأوساط الاقتصادية وأشدها خطراً . انها تملك منخرطين ومؤيدين وأنصاراً في البنوك والكنيسة وكل العمد التي يقوم عليها المجتمع الأميركي .

وهذا ما يفسر انبعاث الموجة الماكارثية من جديد في لوس أنجلس .

ان لوس أنجلس تعيش في ظل عبء ثقافي. إن الناس هناك يتحدثون همساً عن المواضيع التي لها اتصال بالشيوعية أو بالعالم : خشية أن تنقل عباراتهم الى أعضاء « جوهن بيرش » بواسطة « خبرائها » وجواسيسها الذين تمولهم لهذا الغرض .

* * *

وقبل أن نختم هذا الفصل لا بد من كلمة لها مغزاها .

الجنرال والكير الذي صدرت ضده عقوبات لتوزيعه مناشير المنظمة الفاشية الأميركية ، قدم استقالته في شهر أكتوبر ١٩٦١ من الجيش الأميركي. لقد فضل خدمة المنظمة الفاشية على خدمة الجيش في نطاق التعليمات الصادرة من البيت الأبيض .

يضاف إلى هذا نبأ آخر يكتسي أهمية بالغة في هذا المجال رغم مظهره

التافه عندما يطالعه القارىء العادي في الصحف اليومية .

في يوم ١٣ نوفمبر ١٩٦١ أوردت وكالات الأنباء أن الجنرال والكير قد يكون من بين المرشحين للانتخابات الرئاسية الأميركية القادمة في عام ١٩٦٤ .

هل هي مصادفة ؟ هل هو مجرد احتمال لا وزن له ؟

قد يكون لك رأي آخر عندما تعرف أن أتفه الاحتمالات قد تتحول إلى حقيقة سياسية بين عشية وضحاها .

أبعاد عالمية

ان رجلاً مثل ويلش، ليست له خصائص الزعامة التي تستطيع التأثير على من حولها إلى درجة تحقيق التحول الانقلابي . لكن يجب أن لا ننسى أن فكرة مقاومة الشيوعية فكرة مخصبة في أميركا ، تستطيع الفاشية عن طريقها أن تسجل عدة انتصارات جزئية . نعم ان نجاح أية حركة فاشية تحتاج بالاضافة للشخصية القوية الى ظروف خارجية خاصة كأزمة اقتصادية حادة أو خطر خارجي محقق .

الا أن منظمة مثل « جوهن بيرش سوسيتي » تشكل بتنظيمها انتشار نواة مثالية يمكن أن تنبثق عنها حركة جديدة تتوفر لديها شروط الاستيلاء على الحكم، فيكفي مثلاً أن يسجل التسرب السوفياتي الى أميركا اللاتينية خطوات كبيرة وسريعة تجعل الجماهير في الولايات المتحدة الأميركية تشعر انها أصبحت محاصرة أو أن يحدث كساد كبير ينتقل معه رقم العاطلين عن العمل من خمسة ملايين الى ثمانية أو عشرة ملايين .

ومما يضاعف خطر الفاشية ويعطيها أبعاداً عالمية ، زيادة على تشكيلاتها المتفرقة في أوروبا وأميركا ، أن المحاولات ذات الأبعاد العالمية التي تمت الى الآن لتحقيق سد منيع ضد الشيوعية العالمية ، ليست محاولات تعتمد الأهداف المعينة والخطط المضبوطة والمحتوى الايجابي الذي يستطيع أن

يقاوم الاغراء الشيوعي .

ان أبرز هذه المحاولات لمقاومة الشيوعية من الناحية الايديولوجية هي حركة « التسلح الأخلاقي » . ورغم أن الحديث عنها كثير الا أنها لم تستطع إلى الآن أن تقدم لمن يدرسها مضموناً يصلح أن يكون موضوع درس . إن مؤسس هذه الحركة يحاول تعريفها بقوله :

« اننا أمام ثورة عالمية . انه ليس هناك مكان للحياد في المعركة بين الخير والشر . ان أمامنا ثلاث امكانيات : إما أن نستسلم وهناك من هو مستعد فعلاً للاستسلام . وإما أن نلجأ الى القوة ونتعرض لانتحار جماعي . وأما أن نتحصن بايديولوجية عليا تفتح المرحلة المقبلة بالنسبة للعالم الشيوعي والعالم غير الشيوعي على حد سواء » .. (فرانك بوكمان ٤ جوان ١٩٦١) .

هذا هو التعريف الذي يعطيه مؤسس هذه الحركة ، للتسلح الأخلاقي ، بعد تأسيسها بثلاث وعشرين سنة. وهو يؤكد ما قاله أحد الملاحظين منذ عشرين سنة:

« ان التصفيق للتسلح الاخلاقي أسهل بكثير من تحديده » . ذلك اننا لا نستطيع أن نجد جواباً شافياً للسؤال التالي : « ما هو التسلح الأخلاقي ؟ »

ان أبرز الجوانب في هذه الحركة ، كلها جوانب سلبية : انها ضد الشيوعية ، ضد الحياد الخ .. ما هو طريقها للقضاء على الحرب وعلى الأخطار والمشاكل التي تؤدي إلى الحروب ؟ انه يتمثل في « ثورة القلب الانساني ». أما عن تحديد هذه الثورة وكيف تتم فلا شيء .. صحيح أنك تجد لدى هذه الحركة قائمة طويلة بأسماء الشخصيات التي أيدتها في الماضي وتؤيدها الآن .. الرئيس روزفلت ، دي غاسبري ، كوادروس ، كيشي ، أونو ، اديناور ، الجنرال السابق جوهو ، هنري فورد ، نيكسون ، غابريال مارسيل ، الخ .. لكن تعدد واختلاف هذه الشخصيات والفروق بينها يفسره خلو الحركة من محتوى مضبوط ، ووسائل عملية وايديولوجية واضحة . والغريب أن الأفكار الواضحة الوحيدة لدى هذه الحركة هي مقاومة

الشيوعية ، واستنكار الحياد وتأييد التسلح الذري ، تماماً كما هو الأمر عند الحركات الفاشية ، ولعله ليس من محض الصدفة أن يكون مؤسس هذه الحركة ، فرانك بوكمان ، هو الذي صرح في صيف ١٩٣٦ إلى مراسل صحيفة « وورلد تيلغراف » الأميركية :

« اني أحمد الله على أن بعث لنا رجلاً مثل هتلر .. اني أحلم باقناع هتلر بمبادىء واقامة دكتاتورية فاشية تخضع لرقابة الله . » !

نعم ان بوكمان حاول بعد الحرب العالمية الثانية أن يؤول هذه العبارات ويحملها معنى آخر .. لكن وضوحها وبساطتها تغني عن كل تأويل جديد . اننا لا ندعي أن حركة التسلح الأخلاقي حركة فاشية ، فهي ليست حركة منظمة في خلايا وشبكات ضيقة ذات امتثال حديدي كما هو الشأن في كل حركة فاشية . ولا تفرض على المنخرطين فيها دفع اشتراكات معينة ، فهي لا تملك الا ثلاثة آلاف شخص يعملون باستمرار في صفوفها في مختلف أنحاء العالم .

لكننا لا نملك الا أن نسجل أوجه الشبه بينها وبين الحركات الفاشية . فالحركات الفاشية الحديثة هي أيضاً تجعل من مقاومة الشيوعية عمودها الفقري ، وهي أيضاً تعتبر أن الغرب هو الخير ، وأن الشيوعية هي الشر ، وانه لا مكان للحياد بينهما ، وهي أيضاً تدعو إلى دكتاتورية ترتدي رداء الدين وتعمل باسم الله . والفرق الوحيد بين الفاشية الصريحة وبين حركة التسلح الأخلاقي ، ان هذه الأخيرة ترفض التحديد : انها تفضل الغموض الذي يسمح بجمع أكبر عدد ممكن من الأشخاص في صعيد واحد .. تفضل الغموض الذي يغذي خيالات مختلفة وقد تكون متضاربة .. وهذا الفرق هو بالضبط الذي يجعلها فريسة سهلة للنظريات الفاشية ، وهو بالضبط الذي قد يجعلها تتحول إلى حركة فاشية حقيقية ، دون أن يعلم بذلك المنخرطون فيها .. بل ان هزالها الايديولوجي الذي يحول دون قيامها سداً منيعاً في وجه الشيوعية ، هو نفسه الذي سيجعل الفاشية العالمية تنجح في استغلالها بسهولة .

الفصل الثامن

الخطر عالمي

الواقع أن خطر الحركة الفاشية ، واكتسابه أبعاداً عالمية ليس رهناً بانتشار هذه الحركة وتفشيها في أرجاء العالم الغربي ، وتحالفها داخل حلف يمكن أن يطلق عليه اسم الفاشية العالمية الجديدة . ان مجرد تسرب الأفكار الفاشية الى الأوساط العسكرية الغربية ، ومهادنة الحكومات الغربية لهذه الأفكار ، وعدم نشاطها في مقاومتها والقضاء عليها واستئصالها من الأساس ، ان كل ذلك يشكل خطراً يعرض العالم كله لخطر ماحق . ذلك أن العناصر العسكرية هي التي تملك مفتاح الحرب الذرية الرهيبة . فاذا أضفنا أن جهاز الحرب الذرية ، جهاز معقد دقيق ، وأن العقيدة السياسية تلعب دوراً أساسياً في توجيه حركات الفرد المسؤول ، استطعنا أن نتصور بسهولة عواقب التسرب الفاشي إلى الأجهزة العسكرية العليا في أوروبا وأميركا .

ولكي نوضح هذه الفكرة توضيحاً كافياً نلجأ هذه المرة الى رواية قصصية ، من وضع الأميركي بيريان بيتيرس . وقد ترجمها إلى الفرنسية جاك بريكار وهي قصة « ١٢٠ دقيقة لانقاذ العالم » .

وملخص القصة أن الجنرال الأميركي كانتين قائد احدى القواعد الستراتيجية

الجوية الأميركية ، اقتنع بأن موسكو ستشن هجوماً ذرياً يمحو أميركا من الأرض ان لم تسارع أميركا الى محو الاتحاد السوفياتي من الخريطة .

ولم يقف الجنرال عند هذا الحد من الاقتناع ، ولكنه قرر قبل أن ينقل من مركزه بيوم واحد ، أن يتحمل بنفسه مسؤولية شن الهجوم الذري على موسكو . فأمر سرباً من قاذفات القنابل الذرية (B.52.K) التي هي في حالة طيران دائم — أمر سرباً منها أن يجتاز النقطة القصوى في مهمتها أثناء السلم وأن تدخل التراب السوفياتي لتحطم سبعين هدفاً من الأهداف البالغة الأهمية .

وسمعت وزارة الحربية بالنبأ .. لكن لم يكن في مستطاعها أن تصدر أمراً مضاداً إلى القاذفات الذرية ، لأن أجهزة الالتقاط عندها لا تلتقط أية رسالة الا اذا سبقتها شفرة سرية تتركب من ثلاثة حروف لا يعرفها الا الجنرال كانتين واثنان من أعوانه . وقد احتاط الجنرال كانتين للأمر فبعث نائبيه في اجازة . وكان كانتين يأمل أن تؤيد القيادة العسكرية العليا خطته بعد أن تجد نفسها أمام الأمر المقضي .

لكن الرئيس الأميركي يعارض ويصدر الأمر بمهاجمة قاعدة سونورا والاستيلاء على الجنرال كانتين لانتزاع الشفرة السرية منه . وليس أمام الأميركان إلا ساعتان فقط قبل أن تسقط القنبلة الذرية الأولى فوق التراب السوفياتي. ولأول مرة كشف الرئيس الأميركي لقيادته العسكرية عن وجود قنابل من الكوبالت لدى الروس اخفيت في جهة أورال، وأن السوفيات يعمدون إلى تفجير هذه القنانل ان وجدوا أنفسهم عرضة لهجوم ذري . وتفجير قنابل الكوبالت هذه يعني محو الحياة من الأرض في ظرف ستة أسابيع . وأعلم الرئيس الأميركي الكرملين بهذا الهجوم ، وحاولت طائرات المطاردة السوفياتية أن تنصب سداً في وجه القاذفات الذرية الأميركية دون جدوى : ذلك أن هذه الأخيرة مزودة بأدمغة اليكترونية تمكنها من تجنب طائرات المطاردة ما عدا الصواريخ التي مست احدى الطائرات الأميركية .. لكن هذه الطائرة رغم عطبها واصلت سيرها نحو هدفها .

وأمام اصرار الجنرال كانتين على رفض الكشف عن الشفرة السرية أعطى الرئيس الأميركي الأمر بمهاجمة قاعدته. ومات ثلاثمائة شخص في الهجوم. وفي نهايـة الأمر انتحر كانتـين وهو مرتـاح الضمير لأنه لم يكشف عن السر. وعبثاً حاولت الرئاسة الاتصال بنائبيه الغائبين. وفي هذه اللحظة لم يبق الا نصف ساعة على وصول الطائرات الأميركية الى هدفها، وبدأ حوار غريب بين الرئيس الأميركي والرئيس السوفياتي عبر الهاتف. وفي أثناء ذلك تمكن أحد أعضاء كانتين من العثور على أوراق تكشف عن الشفرة السرية. وأصبح حينئذ بالامكان الاتصال بالقاذفات ما عدا التي عطبت اذ تعطل معها جهاز الالتقاط.

ولسنا في حاجة الى تتبع القصة الى النهاية. فصاحب القصة مضطر — لكي يكون واقعياً — أن يجد مخرجاً يجنب العالم الخراب، ما دامت الحياة فوق الأرض ما تزال موجودة بالفعل.

صحيح انها قصة..

ولكن هذا لا يمنعنا من استخلاص العبرة منها، ما دامت قائمة على عناصر واقعية. فالمؤلف قد بنى قصته على معلومات عملية، وعلى ما اتصل به من وثائق عن تنظيم المراكز الذرية الأميركية.

هذا فيما يتعلق بالجانب المادي للقصة، أو مادتها «المادية». أما فيما يتعلق بالجانب النفسي منها، فنحن نعرف أنه يعتمد الواقعية أيضاً، ما دمنا نجد في الجيش الأميركي ضباطاً يفكرون مثل تفكير الجنرال والكير.. ان التطور الطبيعي — أو على الأقل أحد الاحتمالات الممكنة لتطور تفكير مثل تفكير الجنرال والكير — يؤدي إلى موقف مماثل للموقف الذي اتخذه الجنرال كانتين بطل القصة.

وهذا وحده كاف للتدليـل على وجود خطر عالمي حقيقي غير مفتعل. وهو وحده كاف للكشف عن مبلـغ الخطر الذي يتولد عن تسرب الفاشية إلى القيادات العسكرية الغربية.

فماذا أعد الغرب لمواجهة هذا الخطر ، أو بعبارة أدق لتجنيب العالم هذا الخطر ؟

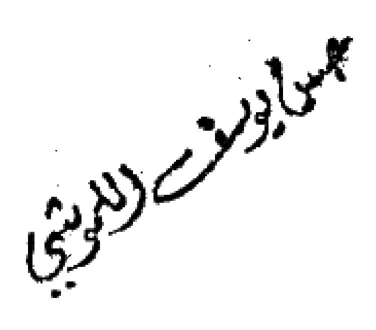
ان ما يتمتع به أنصار الحركة الفاشية من حرية في أميركا وفي فرنسا وفي اسبانيا وفي المانيا وايطاليا ، يدل على أن المعسكر الغربي يشعر بوجود تضامن حقلي بين مصالحه ، وبين الاتجاهات الفاشية في العالم .

وهو نفس الشعور بالتضامن الذي كان موجوداً بين الجمهورية الرابعة ثم الخامسة وبين المتمردين الفرنسيين . ولئن لم ينتبه في الجزائر ، الغرب الى الخطر ، فان مآله مع حركاته اليمينية المتطرفة سيكون هو نفس مآل النظم الفرنسية مع ضباطها المتمردين .

صحيح أن هناك تضامناً حقلياً بين القوى الغربية بمختلف أجنحتها . لكن تطوّر الأحداث ، قد يطور هذا التضامن الى درجة أن يصبح تضاداً لا مكان معه الا لعلاقة العداء المطلق والحرب .

ان ما حدث بالجزائر يمكن أن يحدث على مستوى أضخم في كامل الغرب .

ان التضامن الاختياري في البدء قد يتحول الى تواطؤ اجباري ثم إلى انفجار يودي بالغرب وبالعالم كله .



الفَصْلُ التَاسِع

دور اليسار الفرنسي في تدعيم الفاشية

يتبين من العرض السابق أن الفاشية موجودة بالفعل في أميركا .

ويتبين أيضاً أن تطورات الحرب الجزائرية بعثت الفاشية الفرنسية من جديد ، ودفعتها إلى البحث عن حلفائها في المانيا وفي ايطاليا وفي اسبانيا وفي البرتغال .

ويتبين أيضاً مما سبق أن كتابات المتمردين وأفكارهم السياسية صريحة في الدلالة عن ميولهم الفاشية . ومع ذلك فاننا نجد اليسار الفرنسي لم يتحرك بصفة جديّة لكي يقضي على هذه الحركة وعلى عواملها الاساسية في الجزائر .

نعم اننا سجلنا الاستنكارات .. سجلنا « الكتابات » الجريئة .. سجلنا « المواقف » المدوية .. لكننا لم نسجل « عملاً » مجسماً من طرف اليسار الفرنسي .. باستثناء العمل الذي قام به فرانسيس جونسون وأنصاره في دعوة المجندين الفرنسيين الى رفض التجند للحرب وفي التعاون مع جبهة التحرير .

لكن الغريب أن اليسار الفرنسي من الحزب الاشتراكي إلى الحزب الشيوعي وقف وقفة واحدة ضد عمل جونسون ! . فموريس دوفيرجي

يكتب صراحة بأن « تأييد فرانسيس جونسون يعد جريمة . انه عمل خيانة لا يمكن لأية حكومة أن تسمح به ولا لأية جماعة من المواطنين أن تؤيده » . « لوموند ٢٨ أفريل ١٩٦٠ » .

وفرانسواز جيرو تقول : « الى أية مجموعة ينتمي ذلك الذي يرفض الانتماء للمجموعة الوطنية اذ أنه يهرب من صفوفها عندما تدعوه ؟ » . (ليكسبريس ١٠ مارس ١٩٦٠) .

وايتيان فاجون يكتب في لسان الحزب الشيوعي الفرنسي ما تعريبه : « الجندي الشيوعي يذهب الى كلّ الحروب حتى ولو كانت الحرب رجعية ، ليواصل كفاحه في وسطها .. (لومانيتي ٢٨ أفريل ١٩٦٠) .

وجيل مارتيني وان كان لا يتشدد في ادانة دعوة جونسون تشدد سابقيه الا أن يعتبر أنه « من المستحيل اعتبار قضية اليسار هي قضية الجبهة » ؟

وكلود بوردى الذي ينظر إلى المسألة من زاوية « مشاكل الضمير » ويتفهمها على هذا الأساس يدينها هو أيضاً باعتبار عمل جونسون « خالياً من كلّ فائدة سياسية . » .

ويمكن تلخيص حجج اليسار ضد عمل جونسون في النقط الآتية :

١ — الانتماء إلى مجموعة وطنية يخلق واجبات تلزم الجميع .

٢ — لئنْ كان هذا الواجب لا يلزم دائماً ، بناء على وجود التناقض في بعض الأحيان ، بين القوانين المكتوبة والقوانين غير المكتوبة ، فان حرب الجزائر لا تثير هذا المشكل لأنها ليست ظالمة تماماً .

٣ — وعلى هذا الأساس ، ففي الامكان القبول بـ « الرفض المحدود » مثل رفض القتل أو رفض التعذيب ، لكن لا مجال للسماح بـ « الرفض الكلي » للتجند ، فضلاً عن اعانة العدو كما يرى جونسون ..

ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن اليسار الفرنسي رفض تعبئة طاقاته تعبئة جدية ضد العامل الأساسي الذي أدى الى بعث الفاشية في فرنسا .

ان هذه الحجج قد تكون مقنعة عندما تؤخذ من زاوية نظرية صرفة

ولكنها تضمحل عندما تصطدم بالواقع .

انه من السهل أن تقول للمجند الفرنسي : قم بواجبك ولا تفر من الجندية ، ونفذ الأوامر التي تصدر اليك، الا عندما يطلب منك أن تقتل امرأة أو تعذب بريئاً ، آنذاك فارفض .. من السهل تخيل ذلك .. لكن هل من الممكن تطبيق هذه النظرية ؟ كيف يستطيع المجند – عندما يكون له ضمير – أن ينام مرتاحاً بعد أن يكون قد ساهم في عمليات عسكرية تكون نتيجتها اجلاء السكان عن ديارهم وحشرهم في مراكز التجمع ، وهو يعلم أنهم سيموتون هناك ميتة بطيئة بالجوع والمرض والاهمال ؟

ان العصيان ممكن عندما يكون التعذيب أو الجريمة « حادثاً » شاذاً في الجهاز العسكري . أما عندما تكون الجريمة هي القاعدة فلا يوجد أمام المجند الا طريقة واحدة هي العصيان الكلي ..

ان اليسار الفرنسي لم يدرك أن حرباً موجهة ضد شعب كامل ، ضد حريته ، لا يمكن أن تكون « نظيفة » .. لم يدرك اليساريون الفرنسيون ان تجزئة المعركة ضد حرب الجزائر ، لا يمكن ان تؤدي الا الى نتيجة واحدة وهي تقديم « مبرر » للعسكريين يفسرون به فشلهم ، وبالتالي يدفعهم الى نقل الحرب الى فرنسا نفسها .

ان اليسار الفرنسي بموقفه هذا ليس فقط لم يعمل جدياً على مقاومة الفاشية وسد المنافذ في وجهها ، بل انه بالاضافة الى ذلك قد غذاها وقدم لها ميداناً جديداً للعمل ، وعزز السلاح الذي ستحوله ضده ..

ان اتيان فاجون ، عندما يشرح للشيوعيين « واجبهم » في حرب الجزائر على أساس كلمة لينين « الذهاب إلى الحرب ولو كانت رجعية لمواصلة الكفاح داخلها » يغفل عن حقيقة أساسية وهي أن كلمة لينين تطبق على حرب تقليدية تتواجه فيها دولتان متساويتان في القوة ، أو في امكانيات القوة على الأقل .. وليس الأمر كذلك في الجزائر .. على أن الشيوعيين أنفسهم لا يطبقون كلمة لينين هذه تطبيقاً أعمى ، عندما لا يتعلق الأمر

بالجزائر . فهم يقولون مثلاً : « ان الشعب الفرنسي لن يحارب أبداً الشعب السوفياتي » . فيضعون بذلك مبدأ الرفض عندما يتعلق الأمر بروسيا .

نعم يستطيع الشيوعيون أن يفسروا موقفهم بأن وجود الجندي الشيوعي في الصفوف العسكرية ، يعد عاملاً من العوامل التي تؤدي الى نخر كيان الجيش من الداخل والقضاء على الدعامة الأساسية للدولة ، تمهيداً للانقلاب الثوري في فرنسا، يستطيعون أن يقدموا هذا التفسير .. وهو تفسير مقبول عندما تكون الأوضاع موضوعية تسمح بمثل هذا العمل التخريبي داخل الجيش . لكن الظروف الموضوعية في حرب الجزائر لا تسمح بذلك .. ان نتيجتها بالعكس ، كانت دائماً هي انفعال « الفرد » بالجهاز العسكري البوليسي واندماجه فيه جملة واحدة وذوبانه في أساليبه الوحشية .. كل الشهادات التي نشرت في حرب الجزائر —وما أكثرها— تؤكد هذه الحقيقة . وهي أن المجنـــد الشيوعي أو اليساري ، سرعـــان ما يتحول في دوامة الجرائم وأعمال التعذيب ، الى أداة قتل وتعذيب ، وهنا نضع اصبعنا على احدى المتناقضات الصارخة في موقف اليسار الفرنسي من حرب الجزائر ، ومن الأمراض المتولدة عنها .

ان اليسار الفرنسي يندد بحرب الجزائر ويدعو الى انهائها ويشهر بجرائمها .

وهو في نفس الوقت يدعو الشباب الفرنسي الى عدم التهرب منها والاستجابة لنداء التجنيد في صفوفها للمحاربة ضد الشعب الجزائري .

لكن من هو « الغبي » أو « الملاك » الذي يقبل أن يقوم بحرب يحكم عليها في الآن نفسه بأنها جريمة ؟

ان الشاب الفرنسي المجند يجد نفسه أمام طريقين : أن يعتبر الحرب اجراماً ويرفض المساهمة فيها .. أو يساهم فيها وفي هذه الحالة « يعتبرها شيئاً مشروعاً » أو على الأقل يميل شيئاً فشيئاً الى اعتبارها كذلك . لأنه سيكون مضطراً الى أن يبرر في نظر نفسه العمل الذي يقوم به .

وتكون النتيجة أن الشاب الذي دعاه اليسار الى المساهمة في الحرب ،

يصبح مدافعاً عن الحرب ك «كل » لا يقبل التجزئة ، وبالتالي يصبح من ألد أعداء اليسار الذي يشهر بهذه الحرب ..

تفسير

لكن ما هو العامل الذي يفسر هذا الانحلال اليساري وهذا الضعف المستمر في تحليله للأحداث والفهم الخاطىء لمغزاها ؟

يفسر مارسيل بيجو ذلك بعاملين :

الأول : مساهمة اليسار الفرنسي في الحكم ، مع تجربة الجبهة الجمهورية

الثاني : موقف عام يفسر في نفس الوقت فشل اليسار في تصفية الاستعمار. فبالرغم من الفروق الموجودة بين مختلف الاتجاهات اليسارية ، فان هناك قاسماً مشتركاً بينها ، فيما يتعلق بموقفها من حرب الجزائر ، وهو النظرة الى المشكل من زاويته الفرنسية ، على أساس أن اليساري الفرنسي «لا يستطيع أن يكون في آن واحد فرنسياً وجزائرياً » كما يقول جيل مارتيني . أي أن اليسار الفرنسي ينكر امكانية التعاون بين حركات تنتمي الى جنسيات مختلفة . ومعنى ذلك بعبارة أخرى أنه يتنكر لمبدأ من أقدس مبادىء اليسار وهو « عالمية الاشتراكية » ان زعماء اليسار الفرنسي يحاولون التخلص من هذه التهمة بدعوى أن الأهداف لا يمكن أن تكون واحدة بين حركة اشتراكية في بلد صناعي متقدم واخرى في بلد متخلف اقتصادياً .. مع أن هذا الاختلاف لا ينفي امكانية وجود قاعدة مشتركة يقوم على أساسها الكفاح المشترك .

وهناك حجّة أخرى يختفي وراءها بعض رجال اليسار لتبرير هروبهم من مواجهة الواجب ، يتمثل في قول جان مارى دوميناك « ان القضية لا تتعلق بتعزيز هذا الجانب ضد الآخر ، ولكن القضية تتعلق بتسهيل السلم » . أو « يجب أن لا نحول المعركة بين جبهة التحرير الوطني والجيش الفرنسي

الى معركة فرنسية داخلية . » (مجلة اسبري عدد افريل وماي ١٩٦٠) .

والتسليم بمنطقية هذه « الحجة » يعني التسليم بأن اليسار يوجد « خارج المعركة » وأنه متفرج فقط عليها في حين أن تشبّثه بالانتماء الى المجموعة الفرنسية يستلزم حتماً مساهمة في الحرب بانتمائه الى أحد الطرفين المتقاتلين . وكيف يمكن أن تكون حرب الجزائر اجنبية عن اليسار الفرنسي مع أنها هي التي تسببت في انهيار الجمهورية الرابعة ، وهي التي شقت الطريق للفاشية كي تفكر من جديد ، في الاستيلاء على الحكم ؟

ان وفاء اليسار الفرنسي لمبادئه ، أي للاشتراكية، كان يحتم عليه أن يقوم بعمل ناجح ، عمل أساسي ، ضد حرب الجزائر . لأن التجربة كانت على أن اقرار الاشتراكية بفرنسا مستحيل ما لم يتحقق السلم في الجزائر .

ان خطأ اليسار الفرنسي في تقدير هذه الحقيقة قاده الى اتخاذ مواقف رجعت بالوبال على مصالحه . فاليسار غير الشيوعي ماانفك ينظر الى حركات التحرير في المستعمرات نظرة متعالية ، ولا يتحمس لها الحماس اللازم الا اذا كان هو الذي « يقود خطواتها » .. اما ان حاولت أن تقف معه وقفة الند للند ، فانه سرعان ما يجد المبررات لمهاجمتها أو على الأقل لاتخاذ موقف حيادي أو شبه حيادي . أما اليسار الشيوعي فانه دائماً يميل الى النظر لهذه الحركات من زاوية « الثورة العالمية » .

وذلك يدفعه الى نوع من النظرة المثالية التي لا تتلاءم مع الطريق الواقعي العملي من جهة، ومن جهة أخرى يضع حركات التحرير دائماً في المرتبة الثانية بالنسبة للأهداف الاستراتيجية الشيوعية . وهذا ما جعل الشيوعيين في مارس ١٩٥٦ يصوتون على السلطات الخاصة للاكوست بدعوى أن ذلك يسهل تحقيق « الجبهة الشعبية » ..

* * *

بعد هذا ألا نستطيع أن نقول أن اليسار الفرنسي لعب دوراً هاماً — سلبياً أحياناً وإيجابياً أخرى — في تدعيم الفاشية وتسهيل مهمتها ؟

لقد فضلنا أن نقف في هذا التحليل عند « النظريات » من غير أن ندخل في التفاصيل والجزئيات العملية التي تجسّم تحسيماً أكثر دور اليسار في خدمة الفاشية ، مثل سياسة الحزب الاشتراكي منذ ١٩٥٦ . فضلنا ذلك لأننا أردنا أن نتحدث عن اليسار كـ « مجموع » ولانّ هناك من اليساريين من لا يريد أن يتحمل أخطاء غي موللي وزملائه .

الفصل العاشر

مرحلة جديدة

ذلك كان موقف اليسار حتى عام ١٩٦٠ .

أما عام ١٩٦١ ، والأشهر الأخيرة منه بصفة خاصة ، فقد كانت مليئة بالحوادث التي بصرت بعض اتجاهاته بالحقائق التي غفلت عنها في الماضي .

فاستعمال الفصل ١٦ من الدستور الفرنسي ، ومحاولة اغتيال ديغول ، ثمّ التدابير العنصرية ضد الجزائريين في فرنسا وما تولد عنها من مظاهرات كشفت عن قوة تنظيم الجبهة في باريس ، وما تولد عن المظاهرات من فظائع مكشوفة وقمع وحشي سافر – كل ذلك جعل اليسار يكتشف فجأة امكانية استقرار الفاشية في باريس ويراجع مواقفه ويفكر في انتهاج طريق جديد ، يمثله بصفة خاصة الحزب الاشتراكي الموحد ، الذي أعلن أحد زعمائه منداس فرانس في ٢٥ سبتمبر ١٩٦١ ، أن اليسار يجب أن يتحد من أجل تكوين حكومة موقتة تهدف الى اقرار السلم في الجزائر من جهة والى اعادة الحياة الديمقراطية الى فرنسا واقامة سدّ منيع في وجه كلّ محاولة انقلابية فاشية جديدة .

ورغم أن هذا التكتل اليساري لم يتحقق بعد في الوقت الذي نكتب فيه هذه السطور ، فانه قد أحدث ردود فعل عند زعماء الفاشية الفرنسية ضاعفت الخلافات بين شقيها في الجزائر وفي مدريد .

فالشق الموجود في مدريد أصبح يدعو الى ضمان فرنسا قبل أحداث أي انقلاب في الجزائر . أي أنه يعتبر أن الانقلاب يجب أن يتم أولاً في فرنسا رغم ما يتطلبه هذا العمل من اعداد طويل النفس . والأشخاص الذين يمثلون هذ الاتجاه هم : الكولونيل لاشوروا ، والكولونيل آرغولد ، وبيير لاغايارد الخ ..

أما الشق الذي يوجد في الجزائر والذي يتركب من سالان وجوهو وغاردي وغهودار ، فهو يرى المبادرة بأحداث انقلاب في الجزائر وخطته تتمثل في :

١ — منظمة الجيش السري تستولي على السلطة في العاصمة الجزائرية وفي وهران ، معتمدة في ذلك على حياد الجيش . وهي تعتمد في ضمان حياد المجندين على الوعود التي أصدرتها بتسريحهم فور نجاح الانقلاب كما أنها تعتمد على تواطؤ سلطات البوليس المحلي ، وعلى تسليح المدنيين الأوروبيين الذين رفض موريس شال تسليحهم يوم ٢٥ أفريل ١٩٦١ الى درجة أن أصبح زملاؤه بالأمس يطلقون عليه وصف « خائن الجزائر الفرنسية » .

٢ — يبادر سالان وأنصاره باعلان الجمهورية الفرنسية في الجزائر ووهران ، وقد أعدوا لهذا الغرض لافتات جاهزة ثم يتوجهون الى فرنسا يدعونها الى الاعتراف بتقسيم الجزائر .

٣ — تأمل منظمة الجيش السري ، أن تحمل بهذه الطريقة ديغول وكل الزعماء السياسيين في فرنسا على الاعتراف بالتقسيم .

ولتحقيق هذه النقطة الثالثة ، غير شق المنظمة السرية في الجزائر لهجته ، وأصبح يبذل مجهودات يحاول عن طريقها أن يظهر في مظهر المدافع عن

« الحريات الجمهورية » والحياة الديمقراطية . ولذلك تخلت كتاباتهم الأخيرة عن كلّ ما تشمّ منه رائحة الفاشية .

ويعتقد شق سالان أن هذه الطريقة ستمكنه من الوصول الى الهدف بسهولة . بناء على أن الرأي العام الفرنسي وحتّى بعض المسؤولين الديغوليين أنفسهم ، لن يسمحوا أبداً بتوجيه قوات عسكرية ضد المتمردين دفاعاً عن الوحدة الترابية التي يعرف كل أحد أنها تؤول الى جبهة التحرير الوطني .

ذلك هو الحساب الكامن وراء الأسلوب الجديد الذي يمكن أن نعتبر رسالة سالان الى صحيفة لوموند « عدد ٢٠ سبتمبر ١٩٦١ » بداية واضحة لــه .

ما وراء التقسيم

كان الفشياون المتستّرون وراء « الجزائر الفرنسية » اعداء الداء لفكرة التقسيم . وكان التقسيم الذي اشتمل عليه برنامج الجنرال ديغول في ١٦ سبتمبر ١٩٥٩ من بين نقط الخلاف الأساسية بينهم وبين رئيس الجمهورية الفرنسية .

ذلك أنهم كانوا يعتقدون أن في الامكان الاحتفاظ بالجزائر كاملة .. لكن دفعات التيار الثوري ، ، والأيام الخالدات في ديسمبر ١٩٦٠ ثم أيام جويلية ١٩٦١ التي كانت مركزة ضد التقسيم ، قضت على هذا الحلم الضخم .

ولم يكن في وسع الفاشية الفرنسية أن تتخلى عن « الجزائر الفرنسية » هذا المبرر المثالي الذي سيمهد لها طريق الاستحواذ على الحكم في باريس ، ولم يكن في وسعها كذلك أن تتشبث بفرنسة الجزائر بأكملها بعد أن حطمت جماهير المدن هذه الفكرة في ديسمبر ١٩٦٠ .

اذن فما العمل ؟

هنُا وجدت الفاشية الفرنسية أن « التقسيم » هو ملجأها الأخير .

هو الملجأ الأخير لأنها تستطيع أن تتشبث به بناء على انه جزء من برنامج ١٦ سبتمبر الذي يعتبر انجيل السياسة الديغولية في الجزائر وهو الملجأ الأخير لأنه يمكن من الاستمرار في الحرب التي تعد خير خميرة لأعداد الفاشيين ومضاعفة أنصارهم .

وهو الملجأ الأخير لأنه — على فرض توقف الحرب مع وجود التقسيم — يسمح باقامة دولة فرنسية في جزء من الجزائر ، محكوماً عليها بأن تكون دولة فاشية عنصرية ، باعتبار عقلية أوروبي الجزائر الذين يمثلون جماهير هذه الدولة .. ومعنى ذلك تعزيز الصف الفاشي في السواحل المقابلة من البحر الأبيض المتوسط بدولة جديدة ستكون أضمن مركز تنطلق منه الحركة الفاشية لتستقر في باريس .

هذه الحسابات هي التي تفسر ظهور « التقسيم » في شعارات الفاشيين منذ جانفي ١٩٦١ في بعض جهات وهران حيث لجأت احدى الفرق الفرنسية المتمردة .

وهذه الحسابات هي التي تفسر تغيير لهجة سالان وأنصاره التي تهدف الى اقناع الرأي العام الفرنسي بما فيه ممثلو اليسار ، بحتمية التقسيم وبطابعه « الديمقراطي » .

وهذه الحسابات هي التي تفسر رسالة سالان الى (لوموند) التي يرتدي فيها لباس الجمهوري الغيور على النظام الجمهوري ومظاهره الديمقراطية .

وقد نجحت هذه الحسابات في خداع كل من كان مستعداً للانخداع وراغباً فيه مثل رئيس الحكومة الفرنسية ديبرى .

أي أن الفاشية الفرنسية ، اهتدت الى الاسلوب الذي تضمن فيه ولاء أنصارها بالأمس في ١٣ ماي ١٩٥٨ ، الذين تشتتوا بفعل متناقضات السياسة الديغولية وألاعيبها . وبهذا الاعتبار يعد تبني سالان وزملائه للتقسيم « سنارة » قذفوا بها الى ديبري وأمثاله من المسؤولين الديغوليين اليمينيين ، كي يعطوا لهم « قاعدة عمل » يركزون عليها مشاريعهم ويبررون بها مواقفهم وسلوكهم .

ان « الجزائر الفرنسية » الكاملة لم تعد قاعدة كافية في تجنيد الأنصار والحلفاء السياسيين الذين يحتاجهم سالان ، ولهذا فلتوجد « جزائر فرنسية مقسمة » تتكفل بتجنيد الأنصار والحلفاء باعطائهم (مبرراً) يستطيعون الاختفاء وراءه خصوصاً إذا كان له مظهر « واقعي » ..

ولم يتردد ديبري طويلاً ، فوقع في الفخ بكل ارتياح ، وسرعان ما ظهرت في صحيفة لوموند ، سلسلة من المقالات – أربع – تدافع عن التقسيم باعتباره أحسن الحلول للمشكل الجزائري .

هذه المقالات كتبها النائب الفرنسي آلان بيروفيت ، المعروف بانتمائه الى محيط ديبري رئيس الحكومة الفرنسية . بل ان بعض الصحف الفرنسية أكدت أنها لم تنشر الا بعد أن اطلع عليها مكتب ديبري .

ومراجعة بسيطة لتاريخ رسالة سالان الى « لوموند » وتاريخ مقالات بيروفت ، توضح مدى العلاقة بينهما ..

فرسالة سالان نشرت في عدد عشرين سبتمبر ١٩٦١ .

ومقالات بيروفيت نشرت ابتداء من يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٦١ ..

ان هذا التقارب في التاريخ من جهة ، والنشر في صحيفة واحدة من جهة ، ووقوع الاختيار على صحيفة « لوموند » من جهة ثالثة بوصفها لا يمكن أن تتهم بخدمة ركاب المنظمة السرية ولا ركاب ديبري ، كل ذلك يؤكد الارتباط بين رسالة سالان ومقالات بيروفيت ، التي أكدت الصحافة الفرنسية أن مكتب ديبري هو الذي أذن بنشرها بعد الاطلاع عليها .

مقالات بيروفيت

ركز آلان بيروفيت مقالاته الأربع على التقسيم كضرورة لازمة سواء في حالة الاستقلال الكامل أو في حالة التشارك مع فرنسا .

و يمكن أن نلخص عرضه في النقاط التالية :

– أوروبيو الجزائر بما يحملون من شعور جزائري افريقي ، لا يقلون

جزائرية عن السكان الأصليين . ولهذا فليس من الممكن أن يشبهوا بفرنسيي الهند الصينية أو المغرب أو تونس أو مصر . فهؤلاء يشعرون بأنهم في أرض أجنبية ، بخلاف أوروبيّي الجزائر .

— تجميع الأوروبيين في مناطق معينة من أجل تحقيق التقسيم . تستطيع فرنسا أن تحققه لأن الجزائر ما تزال أرضها ولا يستطيع أحد أن يلومها على اتخاذ تدابير تهدف إلى المحافظة على الحيوات البشرية .

— كل حلّ ما عدا هذا الحل يكلف فرنسا نفقات باهظة . على أنه ليس في الامكان اجبار فرنسيي الجزائر على العودة الى فرنسا لأن اجبارهم على ذلك يعد عملية ابادية ! وهذا بقطع النظر عن المشاكل التي تخلقها عودة الأوروبيين من الجزائر الى فرنسا .

— عمليات منظمة الجيش السري تعد تعبيراً عن رغبة شعب يرفض الموت .. ومهما يقل في هذه العمليات وفي هذه المنظمة فانها تمثل أمل الأغلبية من أوروبيي الجزائر . وعلى هذا الأساس فارهاب البلاستيك يستحق نفس التقدير الذي يستحقه ارهاب الفدائيين الجزائريين .

— التسليم باستقلال الجزائر من غير تحقيق التقسيم يعني فتح الباب في المغرب العربي وفي افريقيا كلها لعملية انقلابية تترتب عليها نفس النتائج التي ترتبت عن انتصار ماوتسي تونغ في آسيا .

— التقسيم يجعل فرنسا في موقف قوي ، لأنها تكون قد احتفظت بين ايديها الضمانات اللازمة للاوروبيين .

— على فرض حصول مفاهمة بين جبهة التحرير والحكومة الفرنسية ، فان التقسيم يجب أن يبقى ويستمر في مشكله العلمي حتى ولو تغير نظامه القانوني ، حتى يبقى ملجأ لكل من يريد أن يبقى فرنسياً .

— التقسيم ضروري حتى في حالة قبول الجبهة بالتشارك ، وسواء قبلت الثورة الجزائرية بذلك أم لا ، فيجب تكوين « جمهورية وهرانية » يستقر بها فرنسيو الجزائر . وهذه الجمهورية تكون ذات سيادة خارجية كاملة

في حالة رفض الجبهة للتشارك ، وتكون ذات سيادة داخلية فقط داخل نظام فيديرالي ، في حالة قبول الجبهة بالتشارك .

– الصحراء يجب أن تشكل منطقة مستقلة ، تسمى الجمهورية الصحراوية ويجب أن يعرف أبناء هذه الجمهورية أنه ليس من فائدتهم الوقوع تحت سيطرة نظام ديكتاتوري « يعني نظام الجبهة » يستغل ثرواتهم على حسابهم . وفي مرحلة أولى تبقى السيادة الفرنسية نافذة على الصحراء كما يبقى الجيش الفرنسي هو المسؤول عن الأمن فيها .

– ما عدا ذلك يشكل الجمهورية الجزائرية الخاصة لجبهة التحرير . ومن الخطأ القول بأن الحرب ستستمر في هذه الحالة ، لأن وجود الجبهة فوق تراب معين سيسهل مهمة القضاء عليها ! .

– لا تستطيع جزائر جبهة التحرير أن تعترض على دخول الجمهورية الوهرانية والجمهورية الصحراوية الى الأمم المتحدة . وفيما اذا عارضت في ذلك ، فان فرنسا ستستعمل حق الفيتو لمنعها هي من الانخراط في الأمم المتحدة .

* * *

تلك هي أهم النقط التي اشتملت عليها مقالات بيروفيت الثلاث .. أما المقال الرابع فقد خصصه للرد على بعض الاعتراضات .

وواضح من هذا العرض أن الكاتب يحرص حرصاً شديداً في كل الحالات وكل الاحتمالات على التقسيم لا لحماية مصالح أروبيي الجزائر ، بقدر ما يحرصُ عليه ليكون طريقاً لقتل الروح الثورية عند الشعب الجزائري ، والقضاء على امكانيات التعبئة الجماهيرية واستغلال ثروات البلاد لفائدة الطبقات الكادحة . وبهذا يتحول التقسيم الى اداة من أدوات الاستعمار الجديد – بالنسبة للجزائريين – يمدد في حياة الاستعمار القديم بشكل جديد . وبالنسبة للأوروبيين يتحول التقسيم الى سلاح في

يد الفاشية الفرنسية لأن اقامة « جمهورية وهرانية » تعني ايجاد دولة عنصرية من نوع حكومة جنوب افريقيا .

* * *

هكذا تلتقي حسابات سالان وزملائه بحسابات ديبري . وهكذا ينكشف ديبري على حقيقته التي ظهر عليها من قبل ١٣ ماي ١٩٥٨ ، عوناً من اعوان الفاشية وأحد المتآمرين في الظلام على مستقبل الشعب الجزائري ومستقبل الشعب الفرنسي أيضاً . وهكذا يلتقي من جديد أحد المتآمرين في قضية البازوكا ، مع سالان الذي كان هدف المؤامرة ، بعد ان التقيا مرة أولى في ماي ١٩٥٨ . والغريب ان هذا اللقاء يتم رغم أن الأول ، ديبري ، هو رئيس الحكومة الفرنسية ، والثاني هو رأس المتمردين الذين يؤيدون القضاء على النظام الذي تمثله الحكومة الفرنسية نفسها .

وقد برهنت التطورات الأخيرة التي سجلتها الحياة البرلمانية الفرنسية ، خلال شهر نوفمبر ١٩٦٠ على أن الفاشية الفرنسية ، بصدد تكوين معارضة برلمانية ، تدافع عنها وتنطق باسمها ، وتدافع عن برامجها . وأصبح في الامكان أن نطلق اسم كتلة « المنظمة السرية » على عدد لا بأس به من البرلمانيين — بلغوا الثمانين حتى الآن — الذين وقفوا للدفاع عن نظريات المنظمة السرية « التكتيكية » وتبني بعض المواقف التي أعلنها وطالب بها راوول سالان .

ومعنى ذلك أن المنظمة الارهابية نجحت في تكوين أداة برلمانية تكون هي الطريق الانتقالية التي تتحول بواسطتها المنظمة السرية من منظمة ارهابية خارجة عن القانون ، إلى حكومة « شرعية » تسطر القانون .

خاتمـــة

عندما تنتصر الفاشية

« .. يجب القضاء على طبقة المثقفين . يجب أن يحرم كل السكان — ما عدا الالمان — من المدارس الثانوية ، يجب أن لا يتجاوز التعليم المستوى الابتدائي البسيط . هدف هذه المدارس يجب أن يكون فقط هو تعليم الحساب الى ٥٠٠ ، وكتابة الاسم . ويجب أيضاً أن يدخل في عقل كل أحد أن طاعة الالمان واجب يفرضه الله . وان تعلم القراءة ليس ضرورياً ..

« .. ان حربنا يجب أن تتجنب أساليب النبل والفروسية . انها حرب ايديولوجية ، فيجب تنظيمها بعنف لم يسبق له مثيل . ان المذهب الشيوعي مناقض تمام التناقض مع مذهبنا ، لذلك يجب القضاء نهائياً على كل السوفيات ».

تلك فقرات من التعليمات التي وجهها هتلر في ١٩٤١ الى ضباطه في روسيا والتي تعتمد النظريات التي كان وضعها هملر في ماي ١٩٤٠ .

ويضيف هتلر ، الى هذه التعليمات ، متوجهاً إلى الضباط الذين يخشى أن لا ينفذوها :

« .. أعرف أن الحتمية التي تفرض علينا هذا الأسلوبَ من أساليب

الحرب تخفى عليكم . لكني أريد أن تنفذ أوامري بدون نقاش أو تردد »
ان هذه التعليمات تعطينا صورة عن برامج الفاشية الفرنسية والفاشية العالمية ، عندما تتحكم في مصير شعب أو شعوب .

وهي في نفس الوقت تحتم علينا أن نواجه الفاشية بكل ما نستطيع من قوى ، ونجند للقضاء عليها وعلى بذورها ، كل ما لدينا من امكانيات .

ان الفاشية العالمية ليست احتمالاً بعيداً .. ان فرنسا ما انفكت منذ ١٩٥٨ تعيش في ظل الخوف من استقرارها بوجهها الصريح في باريس . ان الجمهورية الخامسة التي تفتخر بالاستقرار ، أتعس حالاً من الجمهورية الرابعة ، الجمهورية الرابعة التي كانت تعيش دائماً بين أزمتين وزاريتين ، أما الخامسة فهي تعيش باستمرار ، بين انقلابين : ماض ومستقبل . ومعدل الانقلابات الفاشية في فرنسا أو محاولاتها أكثر من معدل الأزمات الوزارية في عهد الجمهورية الرابعة .

واستقرار الفاشية في فرنسا يعني تكوين جبهة فاشية تمتد من اسبانيا الى ايطاليا عبر البرتغال وألمانيا الغربية .. ويعني أيضاً وجود فرص جديدة أمام الفاشية الأميركية كي تستولي على الحكم .. ويعني تحويل روديزيا وكاطنغا وجنوب افريقيا الى مراكز تنطلق منها حلقات الاستئصال والابادة والمحق ضد شعوب افريقيا .

لذلك أصبح من الضروري ، أن نعطي نحن الشعوب الصغيرة . لحركاتنا أبعاداً عالمية . يجب أن نفكر في كل المسائل المشتركة التي تجعل من ضعفنا قوة .. يجب أن نفكر في تحقيق مشاريع الوحدة بكل اتجاهيها : كحركة أفقية ترمي الى ربط شعوبنا في وحدة نضالية وسياسية واقتصادية واحدة ، وكحركة عمودية تهدف الى استئصال الطائفية والعنصرية وتوحيد الشعب . يجب أن نفكر في تدعيم الحرية في الداخل باقامة نظم تحقق الحرية من غير أن تفتح الباب لحركات الهدم والتخريب ، وفي الخارج بسلوك سياسة الحياد وعدم التبعية . ويجب أن يكون رائدنا في كل ذلك هو الثقة في الشعب وفي

قواه الحية ، وفتح الآفاق في وجهها كي تندفع في حركة ثورية تبني وتقاوم وتعمل للمستقبل من غير أن تغفل عن الحاضر..

يجب أن نتذكر دائماً أن الحركة الفاشية لم تكن لتنتصب في اسبانيا مثلاً لو أن النظام الجمهوري هناك ترك الباب مفتوحاً أمام المشاريع الثورية ، مثل الاصلاح الزراعي ، التي خلقت آمالاً كبيرة في صفوف الشعب كانت كفيلة بالقضاء على محاولة الجنرال فرانكو . لكن تفضيل حكومة الجمهوريين للحلول المتيسرة وعدم تفهمها لأساس المعركة التي لم تكن حرباً مدنية ولكنها كانت ثورة بمعنى الكلمة — ان كل ذلك ادى الى ابعاد الشعب عن المعركة ، والى شعوره بأنها أجنبية عنه ، وانها مجرد عمليات عسكرية بين قوتين كلتاهما لا تهتم بشؤونه مباشرة .

يجب أن ندرك ان مشاريع البناء والتشييد والمستقبل لا يمكن أن تتحقق ، بكيفية تضمن لها الدوام والبقاء ، الا اذا كانت قائمة على قاعدة شعبية واعية تشعر بأن المعركة معركتها .

ملحق

رأينا أن نضع بين يدي القارىء ، في نهاية الكتاب ملحقاً يضم بعض الوثائق – الرسمية – التي تكشف عن الأهداف الستراتيجية للحركة الفاشية الفرنسية وعن أساليبها التكتيكية . وبقدر ما يبدو التناقض كبيراً بين الأهداف الستراتيجية التي ينص عليها برنامج « منظمة الجيش السري » وبين الأساليب التكتيكية التي تتمثل في رسالة سالان الى صحيفة لوموند – بقدر ما نلمس تقصير اليسار الفرنسي في مجموعه ، وفي تعبئة الرأي العام الفرنسي ضد الحركة الفاشية الجديدة وفي فضح مناوراتها ، الى درجة أن ثمانين نائباً برلمانياً وجدوا الجرأة الكافية للدفاع عن مشاريع المنظمة السرية في الجمعية الوطنية الفرنسية :

لذلك رأينا أن نسجل في هذا الملحق ، دفاع جونسون عن موقفه ورسالة الـ ١٢١ ، وشهادة سارتر في قضية محاكمة شبكة جونسون : لأنها كلها توضح مسؤولية اليسار الفرنسي في انتشار الحركة الفاشية وتبرز نقط الضعف في التحليل الذي اعتمدته الحركات اليسارية الفرنسية لتبني عليه مواقفها من حرب الجزائر بوصفها المرض الأساسي الذي أدى إلى بعث الفاشية الفرنسية من جديد .

برنامج المنظمة السرية

هذا هو نص برنامج المنظمة السرية ، كما ظهر في النسخ التي عثر عليها البوليس الفرنسي أثناء التفتيشات التي أجريت في الجزائر ضد عناصر المنظمة السرية .

من أجل :

– تجنب الحرب الأهلية التي تقودنا اليها السياسة الديغولية وانقاذ فرنسا من خطر الثورة العبودية الشيوعية .

– ومن أجل انقاذ وحدة التراب الوطني المهدد بالانفصام .

– واعادة الوحدة المعنوية للأمة الفرنسية .

– وضمان مستقبل الجيل الجديد .

– وتحقيق المطالب العادلة للعمال .

من أجل ذلك كله ، ونظراً للظرف الراهن الذي توجد فيه فرنسا يجب ، اجراء عملية جراحية حقيقية تستأصل نهائياً عوامل الانهيار . وهذه العملية لا يستطيع أن يقوم بها على الوجه الاكمل الا الوطنيون الفرنسيون للأسباب الآتية :

– الحل الذي يقدمونه حل جديد .

– لم ينقسموا أبداً في انظمة الانهيار .

– الوقائع صدقت أقوالهم باستمرار .

– النظام الديغولي يسلط عليهم القمع ويرى فيهم أعداءه الالداء .

– يقدمون اطارات سياسية جديدة نظيفة صهرتها سنوات الكفاح والدراسة والتطبيق السياسي .

– هم منبثقون مباشرة عن شعب فرنسا .

– كل الاحزاب والرجال السياسيين فشلوا .

– فرنسا وأوروبا لا يمكن أن تختارا أنصاف الحلول .

– لا يوجد من الآن فصاعداً الا حلان فقط : الوطنية أو الشيوعية .

لذلك حرر الوطنيون الفرنسيون برنامجاً مبدئياً يمكن أن يقام على أساسه برنامج التشييد القومي .

١ ــ **الجمهورية الخامسة** : اعلان انهيار الجمهورية الخامسة وانهيار مبادئها ورجالها الذين يستغلون نظامها . ذلك هو الشرط الضروري لاستمرار حياة الأمة وانقاذ الشعب .

٢ ــ **حكومة الانقاذ العمومي** : تشكيل حكومة انقاذ عمومي من مسؤولي الحركات الوطنية الفرنسية ، وممثليهم في الجيش وذلك لتحقيق :

ــ بعث الأمة .

ــ تحقيق مطالب العمال .

ــ انقاذ التراب الوطني .

٣ ــ **الوحدات الاقليمية** : الوحدات الاقليمية توضع مباشرة تحت تصرف الحكومة الوطنية ، حكومة الانقاذ العمومي ، وتشكل الوحدات الاقليمية من الشبان الوطنيين الذين كافحوا منذ خمسة عشر عاماً من أجل الدفاع عن الحضارة وعن التراب الوطني في أقطار ما وراء البحار وفي الجزائر . وزملاؤهم الكبار ، يمكن لهم الانخراط كأفراد .

ومهمة الوحدات الاقليمية هي محاربة علاقة الداخل والمقاومة المتمثلة في مناهضي الثورة أعداء الانبعاث الوطني . وتستولي الوحدات الاقليمية على السلطة لتعوض السلطات المحلية المنهارة أو المنحلة .

٤ ــ **المحاكم الشعبية** : تنصيب محاكم شعبية في كل دائرة لتحاكم ، حسب قانون خاص ، أعمال الخيانة ونهب الأمة ومحاولة النيل من معنوياتها .

٥ ــ **البرلمان** : البرلمان الذي لا يمثل أي شيء ما عدا الجبن والنذالة ، يحكم بحله ، وتحذف المرتبات الضخمة التي تعطى للنواب .

٦ ــ **مجلس الأمة** : دعوة مجلس أمة يمثل أقسام الحرف والجهات المختلفة ، كي ينعقد بمجرد ما يقع الانتهاء من مهمتي النهوض بالأمة وتوحيدها .

٧ ــ **الأحزاب** : حلّ كل الأحزاب التي تبث الشقاق بين الفرنسيين

وتخدم مصالح كتل مالية معينة أو دول أجنبية .

٨ — **محلات الأحزاب** : حجز محلات الأحزاب ومراكزها كأملاك للأمة ، وتحويلها الى مساكن أو نوادي للشباب .

٩ — **الحزب الشيوعي** : حل الحزب الشيوعي العدو الداخلي للأمة وحل كل الجمعيات والمنظمات المرتبطة به مباشرة أو بصفة غير مباشرة مثل المنظمات التقدمية . عزل كل الإطارات الشيوعية التي تشغل وظيفة رسمية .

١٠ — **فلاقة الداخل** : المسؤولون عن اعمال الخيانة والنيل من معنويات الأمة يحالون على المحاكم الشعبية .

١١ — **البوليس والقضاء** : كل أعوان البوليس ورجال السلك القضائي الذين تحمسوا لقمع الوطنيين الفرنسيين يطردون من وظائفهم ويحالون على المحاكم الشعبية .

١٢ — **الارهاب** : تعطى للبوليس سلطات خاصة وامكانيات ضخمة للقضاء بسرعة على الارهاب الشمال افريقي . عائلات أعوان البوليس الذين يذهبون ضحايا اللارهاب تعطى لهم منح .

١٣ — **الجنرالات الخونة** : الجنرالات المورطون في نشاط السياسيين الجمهوريين والمسؤولون عن انهزاماتنا العسكرية يطردون من الجيش ويحالون على المحاكم الشعبية .

١٤ — **الجيش** : ترقية الاطارات الفتية المتشبعة بروح الهجوم ، ووضعها في أعلى المسؤوليات بسرعة .

١٥ — **الخدمة العسكرية** : تخفيض مدة الخدمة العسكرية الى ١٨ شهراً ، وتسريح الأقسام التي تجاوزت هذه المدة في الخدمة العسكرية . والتخفيض في العدد الذي ينجم عن هذا التدبير ، يعوض بتحسين فنيات ومعنويات الجنود وتزويدهم بالروح الثورية الوطنية .

١٦ — **الجزائر** : ضمان الانتصار العسكري والسياسي السريع بواسطة سحق التمرد والقضاء على فلاقة الداخل .

١٧ ـ كبار المعمرين: حجز ممتلكات كبار المعمرين الذين لعبوا على الحبلين وتوزيع أراضيهم على شبان فرنسيين .

١٨ ـ البترول الصحراوي: القضاء على الشركات الاحتكارية الدولية .

١٩ ـ ابناء الشمال الافريقي : أبناء الشمال الافريقي المهاجرون الى فرنسا يحولون الى وسطهم الأطلسي .

٢٠ ـ دول المجموعة: حذف الاعانات التي تعطى لأقطار ما وراء البحار التي انفصلت عن فرنسا ، واستعمال هذه الاعانات في تجهيز المناطق الجرداء في فرنسا .

٢١ ـ الأقليات البيضاء: ضمان حماية الأقليات البيضاء في أفريقيا المهددة بالانطلاق الوحشي لعنصرية الملونين .

٢٢ ـ الفرنسيون اللاجئون: الفرنسيون اللاجئون من الشمال الافريقي ومن أقطار ما وراء البحار يدمجون في الأمة وتعوض خسائرهم .

٢٣ ـ النقابات: تحل النقابات الحكومية (مثل النقابات المسيحية والاشتراكية) ويوحد العمال داخل نقابة واحدة تفرض مطالب العمال العادلة .

٢٤ ـ الاسكان: كل المحلات التي تشغلها الاحزاب والمنظمات السياسية المختلفة ، والهيئات الدولية ، ومحلات النواب البرلمانيين ومنازل المسؤولين عن مصائب فرنسا ، والمحلات التي تشغلها منظمات دولية مضرة مثل اليونيسكو ولجنة حقوق الانسان ، الخ .. والمحلات التي توجد بها الشركات والحكام التابعون للنظام المنهار كل هذه تعطى للعائلات الفتية والذين لا توجد لديهم مساكن لائقة .

٢٥ ـ الفلاحة: تسعير المنتوجات الفلاحية ، حسب الأورباح المتأتية من الصناعات .

٢٦ ـ التجارة: الغاء الامتيازات والقضاء على العناصر المضرة بالتجارة .

٢٧ ـ الوطنيون: الوطنيون الفرنسيون المعتقلون يطلق سراحهم في الحال . اصدار عفو عام وتمجيد وطني لكل الفرنسيين الذين سجنوا وحكم عليهم

من أجل نشاطهم الوطني .

٢٨ ــ ضحايا الديغولية : ضحايا الديغولية تعوض خسائرهم بواسطة حجز ممتلكات مستغلي النظام الجمهوري .

٢٩ ــ قدماء المحاربين : اعادة منحة قدماء المحاربين كاملة ، ودفع المتخلف منها ابتداء من الفترة التي الغيت فيها من طرف النظام الديغولي .

٣٠ ــ جوقة الشرف : اعادة القيمة العليا التي كان أعطاها نابليون الأول لجوقة الشرف وتطهيرها من كل عناصر الفضيحة التي تسربت اليها .

٣١ ــ التعليم : كل الأساتذة والمعلمين الذين ساهموا في عمليات الخيانة أو النيل من معنويات الشبان الفرنسيين الذين أسندت لهم مهمة الاشراف عليهم ، يطردون من وظائفهم ويحالون على المحاكم الشعبية .

٣٢ ــ المنح الدراسية والتجند : الغاء رخص التسريح الموقت من الجندية بالنسبة لكل الطلبة التقدميين ، لتمكينهم من التعرف المباشر على الحقائق الجزائرية داخل الوحدات المحاربة في الجزائر . وكل المنح الدراسية التي تعطى الى الطلبة أعداء فرنسا وأعداء حضارتها تلغى فوراً كما يُطرد من فرنسا جميع غير المرغوب فيهم .

٣٣ ــ الصحافة : حرية الصحافة التي ألغاها النظام الديغولي تعاد من جديد . وكل الصحف التابعة للكتل المالية تعطى للعمال بواسطة شركة وطنية تشرف على مصالح الصحافة .

٣٤ ــ الإذاعة والتلفزة : فرنسة الاذاعة والتلفزة الفرنسية . والعناصر غير الوطنية الموجودة فيها تحال على المحاكم الشعبية . تأميم كل الاذاعات الموجودة فوق التراب الفرنسي .

٣٥ ــ تسمية الأنهج : تغيير أسماء الأنهج والمؤسسات العمومية ، التي تذكر بشخصيات وحوادث هي ضد شرف ومعنويات الأمة .

٣٦ ــ الشباب : توحيد حركات الشباب لتمكين الجيل الجديد من

القيام بمهمته التاريخية الوطنية في أوروبا وفي افريقيا .

٣٧ — **الشعار القومي** : الصليب المستدير يصبح هو الشعار القومي الرسمي ، إلغاء كل الشعارات التي تذكر بالنظام البائد .

رسالة سالان الى صحيفة لوموند

نشرت صحيفة لوموند الصادرة بتاريخ ٢٠ سبتمبر ١٩٦١ نص الرسالة التالية التي تحمل أمضاء راوول سالان :

« الجزائر في ١٥ سبتمبر ١٩٦١

سيدي المدير

بعد أسبوع ولود للأحداث الهامة قررت أن أضبط الموقف أمام الرأي العام الفرنسي بفضل حرية الفكر التي ما فتئتم تتمسكون بها في صحيفتكم .

من هو الفرنسي الذي لم يندهش للهجة العابثة التي تحدث بها رئيس الدولة في وقت حاسم سواء بالنسبة للحاضر أو لمستقبل بلادنا : ان الخلافات تنبع في كل مكان بالوطن الأم . وعجز الدولة عن تسويتها أصبح واضحاً لدى كل إنسان ..

لقد وقع النيل بكيفية خطيرة من أحلافنا مما أثر على موقفنا الخارجي . ان الشعور بضرورة التعجيل بعمل شيء في الجزائر يزداد كل يوم الحاحاً وتضخماً . وفي الوقت الذي نجد فيه ضعاف الجنوب فريسة للفوضى ، بينما الاندفاع الشيوعي يسير الى الأمام في اتجاه افريقيا ، في هذا الوقت ، يقذف بأحسن فرقنا الى الفخ الذي نصبته الامبريالية الشيوعية في برلين .

اذن فكل شيء يحملني على أن أقطع الصمت الذي فرضته على نفسي حتى الآن . لكن الأحداث الراهنة تجبرني على أن لا أترك أي شيء أساسي للرد على حكم لا يتردد في استعمال أية وسيلة كانت لتغطية فشله ، وخنق القلق المتزايد ، والقضاء على آخر ما تبقى من الحريات العامة .

ان كل الأنظمة السياسية القائمة على الضغط والقهر فقط ، متعودة

بتوجيه السخط الشعبي الى بعض الطوائف الاجتماعية أو الدينية .. هذه الطوائف تلصق بها كل التهم ، مغالطة للرأي العام وتعمية له . والسلطة المطلقة التي تتحمل أثقالها لا تخرج عن هذا القانون . وهكذا نجد فرنسيي الشمال الافريقي وعلى الأخص فرنسيي الجزائر فريسة لنفس الخطر الذي تعرض له يهود أوروبا الوسطى . ان الجيش نفسه الذي يعرف كل إنسان ارتباطه بالتزامات الشرف .. الجيش حارس الحرية والمدافع عن وحدة التراب الوطني .. هذا الجيش جره الحكم الديغولي الى ألاعيبه . وهناك وسيلة أخرى تقليدية تستعملها الأنظمة الاستبدادية ، وهي حبك المؤامرات المزيفة والاعتداءات المزيفة ، التي تمكن من خلق المعارضة ، على أمل تدعيم نظام في طريقه الى الانهيار .

وهؤلاء هم الفرنسيون يحاسبون أنفسهم عن انجازات ثلاث سنوات من الحكم الفردي ، ويقــارنون وعود البــداية بنتائج النهاية . هؤلاء هــم الفرنسيون ينتبهون الى حقيقة سلطــة استبدادية طلبت منهم أن يتخلوا عن جزء من حريتهم بدعوى أن ذلك يخدم الصالح العام ، في حين أن النتيجة كانت عبارة عن مجموعة من المآزق .. لكن الحكم الديغولي لم يكتف بالثقة العمياء التي وضعت فيه ، انه يطالب أيضاً بموافقته على خرق الدستور . وها هو البرلمان اليوم يرفض أن يمثل الدور المسرحي الذي فرض عليه ، وها هم نواب الشعب يتفطنون الى مداول المهمة التي اؤتمنوا عليها .

كلهم تفطنوا الى أن الحكم الديغولي قرر — ظلماً — تطبيق الفصل ١٦ الذي نعرف أن العمل به متوقف على ظرف معين : حالة الحرب .

ان السلطة التشريعية اليوم تريد أن تسمع صوتها ، وهي محقة في ذلك . والجماهير الفلاحية اضطرت لاثبات حقها في الحياة الى تنظيم مظاهرات السخط في الطرق . والموظفون والعمال الذين طالما أهملت الحكومة مطالبهم ، يستطيعون ، غداً ، أن يشتركوا جميعاً في حركة احتجاجية عامة . والجيش الذي أصبح يعيش في غموض الأوامر المتناقضة ، مقتنع بالمسؤولية الضخمة

التي تقع على كاهل الحكومة ، فيما يتعلق بالمأساة التي قد تنفجر غداً هنا وتقذف بالجزائر في فم الغول الشيوعي . كيف يمكن أن نشك لحظة واحدة في الهلع الذي يستولي على قادة الأمة عندما يفكرون في الحسابات التي يجب أن يقدموها ؟ انهم يعرفون أن أخطاءهم من النوع الذي لا يمكن تداركه ، وأن المهارة التي أخفوا بها مشاريعهم الحقيقية ، لم يعد لها أدنى مفعول ، وأن الأكاذيب لم تعد كافية . لقد توهموا أن في الامكان محق المعارضة وحمل الرأي العام على نسيان ديكتاتورية مفضوحة ، لا تعتمد على تقاليد موروثة .

ألم تبلغ بهم محاولة الكذب واستغلال الجهل الى الاشاعة بأني أنا راوول سالان ، الذي وقفت في وجه العدو ، مرتين بوصفي قائداً أعلى ، أنا الذي نظمت محاولة اغتيال رئيس الدولة ؟ اني لن أشوه ماضيّ وشرفي العسكري باصدار الأمر باغتيال شخصية تملك ماضياً هو ملك لتاريخ أمتنا . هناك عدة فرنسيين قتلوا زمن الاحتلال النازي ، وفقدوا أملاكهم ، لكن لم تفكر المقاومة الفرنسية في اغتيال رئيس الدولة آنذاك . ان الجنرال ديغول ، مثل الماريشال بيتان ، قد عينته ارادة الأمة وثقتها . ويجب أن يدفع الحساب ، حساب مهمته الى شعب فرنسا .

انه من غير الممكن التفكير في أني أصدرت الأمر باغتيال الجنرال ديغول ومن غير الممكن التفكير في ربط ذلك – كما حاول بعض الصنائع – بمحاولة اجرامية كان من المقرر أن تفتح طريق الحكم لديغول (يشير إلى حادث البازوكا) .

ان وجودي خلال ١٩٥٨ بالجزائر ، على رأس الجيش الفرنسي ، كان عقبة في طريق المطامع الاجرامية لبعض الأفراد الذين تمكنوا بعد ذلك من تنفيذ أغراضهم . أما أنا فاني سعيد ، لأن حادث كولومبي لم يتسبب في ضحايا بينما تسبب حادث البازوكا في مقتل رئيس مكتبي .

لقد بذلت محاولات عديدة لقسر الفرنسيين على السكوت ، ومناورات

عديدة ترمي الى الصاقي محاولة اغتيال الجنرال ديغول بنا . لكن المناورة كانت مفضوحة . والذين نظموها ونفذوها يستطيعون أن يلمسوا اليوم تفاهة النتائج التي حصلوا عليها .

ان سمعة النظام الديغولي خرجت منهارة من هذه المحاولة . انه يحفر قبره بيده ، ولن تستطيع مادة متفجرة أن ترقع الفتوق الواسعة التي أحدثها بنفسه .

وهناك أخيراً تهمة تزعم أن منظمة الجيش السري تهدف الى اقامة ديكتاتورية عسكرية في فرنسا . ان الجيش السري ليس حركة سياسية ، ولكنه جيش حقيقي يهدف الى تجنيد الفرنسيين للدفاع عن الحريات الأساسية . ان قيادة الجيش السري لن تتحول أبداً الى حكومة . فهناك دستور ، وهناك برلمان وهناك شعب فرنسا . ان منظمة الجيش السري تقدم لها قواها المادية والمعنوية وايمانها بمستقبل بلدنا . » ..

جونسون واليسار الفرنسي

في القسم الاخير من الكتاب فصل خصصناه للحديث — بايجاز — عن مسؤولية اليسار الفرنسي في تدعيم الحركة الفاشستية المتولدة عن حرب الجزائر . (ونتعمد هنا ذكر « الحركة الفاشستية » بصيغة المفرد ، رغم انها كانت في تنظيمها المادي عدة حركات بينها من الفروق ما بين منظمة روبير أمارتيل وطلبة سوزيني — نتعمد ذلك لأن الأساس الذي استمدت منه هذه الحركات قوتها وغذاءها أساس واحد . ولانها . تستطيع — كما برهنت الأحداث على ذلك — ان تتوحد في فترة معينة للعمل على تحقيق هدفها المشترك الذي هو تحقيق الانقلاب الفاشي) .

ودور اليسار في تدعيم الحركة الفاشية متولد بدوره عن انقسامات اليسار وعدم تمكن الحركات اليسارية الفرنسية من مجاوزة نطاقها المحلي أو الأوروبي الى نطاق أوسع ، وعجزها عن استخلاص العبرة ، الى النهاية ،

من موقفها المبدئي وهو مقاومة الحرب الجزائرية .

والطائفة الوحيدة من طوائف اليسار التي ذهبت في استخلاص العبرة الى النهاية ، هي التي يمثلها فرانسيس جونسون .

ففرانيس وجماعته الذين نظموا عملاً سرياً في فرنسا لمساندة جبهة التحرير ومقاومة النظام الفرنسي ، تفطنوا الى وحدة القضية التي يدافع عنها اليسار والقضية التي يحارب من أجلها الشعب الجزائري . وانكشاف هذه الحقيقة ، بكيفية فجائية ، جعلت كل الميول اليسارية ، في فرنسا تشعر بالامتعاض ، وتضع اصبعها على نقطة حساسة من نقط ضعفها .. لكن اليسار الفرنسي في مجموعه رفض أن يعترف بالهزيمة .. رفض أن يعترف بأن جونسون اهتدى الى ما لم يهتد اليه زعماء الحزب الاشتراكي ، أو الحزب الشيوعي ، أو حتى الحزب الاشتراكي الموحد .. ومن هنا كان رد فعل اليسار ، ضد جونسون من الشيوعيين الى اشتراكيي غي‌موللي ، لا يكاد يختلف : المعارضة على طول الخط .

أما الاختلاف فهو يبدأ مع « تفسير » المعارضة .

فهناك من يعتبر عمل جونسون خيانة .

وهناك من يعتبره غير مجد . وقد أشرنا الى ذلك في فصل سابق .

وهناك من (اهتدى) الى تفسير غريب يقول : التعاون مع جبهة التحرير يؤدي الى نجاحها ، ونجاحها يؤدي الى قيام حركة ديكتاتورية في الجزائر . وعلى هذا الأساس فأية فائدة في محاربة الديكتاتورية الفرنسية من أجل تنصيب ديكتاتورية أخرى في الجزائر ؟

هؤلاء اليساريون ، هم الذين وضع جونسون من أجلهم كتاباً يحمل عنوان « حربنا » .

في هذا الكتاب لا يحاول جونسون أن يدافع عن نفسه خاصة لأنه لا يعتبر عمله اجراماً ، بل انه لا يلجأ الى المبررات « المثالية » فقط مثل للدفاع عن مثل الحق والحرية والحق والعدالة ، ولكنه يفسر موقفه تفسيراً (سياسياً)

واقعاً قائماً على حب فرنسا ، وايجاد روابط بين جزائر الغد المستقلة وبين فرنسا . (أليس هذا هو مااقتنع الجنرال ديغول بضرورته أخيراً ؟) انه يريد أن يكون عمله هو « اللحمة » التي تربط بين وطنه وبين الجزائر ، وهو يحرص على هذا الارتباط ، وعلى أن لا تصبح الجزائر عدواً لدوداً لفرنسا. لماذا ؟

الجواب نجده في كتابه « حربنا » .

انه يقول جواباً عن هذا السؤال :

« لأن وجود جزائر عدوة لفرنسا معناه وجود مغرب عربي عدو لفرنسا ، ومعناه وجود افريقيا السوداء عدوة لفرنسا . ان معنى ذلك هو القطيعة التامة بين فرنسا وبين العالم الافريقي .. انه الاختناق بالنسبة لأوروبا كلها التي تصبح آنذاك منزوية ومحكوماً عليها بالركود والانهيار .

« إننا يجب أن نتبين أن كل هذه الحلقات متشابكة . فلئن اعترفت فرنسا بسرعة باستقلال تونس والمغرب فلأن الوضعية بالجزائر كانت وضعية متفجرة ولأنها وجدت نفسها مضطرة الى اسكات الجناحين – ولئن منحت فرنسا الاستقلال لشعوب افريقيا السوداء من قبل أن تلجأ هذه الشعوب الى حمل السلاح فلأنه لم يكن في امكانها أن توزع نصف مليون جندي في كامل القارة الافريقية، مع أن الثورة الجزائرية وحدها استطاعت أن تصمد في وجه نصف المليون هذا وأن تخلق مصاعب شتى . ان الجزائر سواء أحببنا أم كرهنا هي محور جميع هذه القضايا وان نفوذها سيزداد قوة وتأثيراً على جميع المظاهر الأساسية لزوال الاستعمار من القارة الافريقية . فلو حقق الجزائريون في بلادهم نوعاً أصيلاً خاصاً من الاشتراكية فان جميع شعوب افريقيا تميل الى محاولة هذه التجربة والعمل بها لفائدتها ، أما لو فضلت الجزائر أن تلعب – بدون احتراز – ورقة الشيوعية فان القارة الافريقية كلها هي التي ستسقط في أحضان الشيوعية وتفتح واسطة هذه الفجوة في وجه اشتراكية مجلوبة من الخارج ..

هذه حقائق بديهية ، لكن حكوماتنا المتوالية تصر على جهلها ، وتصل بها الغفلة والجهل الى حد القول بأنه يجب الاستمرار في حرب الجزائر لمعارضة محاولات التسرب الشيوعي الى افريقيا » .

الحاجز الدقيق

لكن التعاون مع جبهة التحرير يعرض جونسون وحركته لخطر « الابتلاع » من طرف الثورة . اي أنه وأصحابه يصبحون مهددين بأن يفقدوا شخصيتهم وطابعهم ويذوبوا في الجزائريين . وهذا لم يغب عن جونسون فهو يقول بهذا الصدد :

« صحيح أنه ليس من السهل أن نقف في وجه هذا الخطر ، عندما نكون قبضة من الرجال نريد التعاون مع ثورة كاملة . فنحن بذلك نتعرض الى خطرين :

الاول — ان تقبلنا الثورة وتهضمنا الى درجة أن تبتلعنا وتسلخنا عن فرنسيتنا جملة واحدة .

والثاني : أن ترفضنا الثورة لأننا أردنا أن نحافظ على طابعنا ، وكياننا . لكننا قبلنا بمواجهة هذا الخطر ، وحاولنا أن نكون متضامنين تضامناً مطلقاً مع الثورة ، في نفس الوقت الذي نحافظ فيه محافظة تامة على شخصيتنا . وبعد التجربة أستطيع ان اقول لقد نجحنا . لقد عملنا منذ ثلاث سنوات مع جبهة التحرير الوطني وتلقينا منها كلّ الوسائل المالية للقيام بعملنا ، من غير أن نكون « صنائع » او « عملاء » لها ، وأنـــا الآن مستعد لمواجهة اي تكذيب فرنسي او جزائري ، بصدد هذا الشأن .

ان المسؤولين الجزائريين الذين وجدناهم امامنا ، برهنوا دائماً على اتصافهم بحاسية سياسية عميقة مكنتهم عدة مرات من النظر الى أبعد مما توحي به المظاهر القائمة .

لقد قال لي احد مسيري الجبهة ، ذات يوم : أرأيت يا فرنسيس ،

قد لا تكون لدينا الا فرصة واحدة في المائة لكي يعترف اليساريون بأن كفاحنا هو كفاحهم. ولكن فيما اذا كانت هذه الفرصة موجودة ، فلا حق لنا في أن نتركها تفلت . ان شعبنا سيكافح عشر سنوات إذا لزم الأمر ، ولكن لا يجوز لنا ان نهمل أية وسيلة لمحاولة التنقيص من مدة آلامه . » .

الخيار بين تضامنين

ومن بين « الجزئيات » التي يأخذها اليسار الفرنسي على جونسون هي انه يتضامن مع ثورة لا تتردد في ارتكاب جرائم القتل والتخريب .

هذا الانتقاد يرده جونسون بأن التضامن لا يتجزأ ، كما ان الكفاح لا يتجزأ ، ويقول بهذا الصدد :

« نعم، لقد اعنّا الجزائريين وما زلنا نعينهم، وسنستمر على اعانتهم في جميع الميادين .

ان كفاحهم وحدة لا تتجزأ . فهذا الشخص الذي تؤويه لتخفيه عن أنظار البوليس اليوم ، قد يذهب غداً لاعدام أحد أعداء الثورة ، أو يخرب أحد السدود الرائعة التي تعتز بها العظمة الفرنسية وبذلك تصبح شريكاً لهذا الشخص .. اذن فعليك أيها الفرنسي ، أن تقول أي الأمرين تفضل ، هل التشارك مع هذا الشخص أم المشاركة في جريمة الابادة التي حرمتها فرنسا وأمضت على اتفاقية دولية تحرمها ، تلك الابادة التي تواصلها حكوماتنا باسمك وبسبب سكوتك ؟ » .

شهادة جان بول سارتر في قضية جونسون وشبكته

في شهر سبتمبر ١٩٦٠ تتبع الرأي العام العالمي باهتمام بالغ قضية محاكمة « شبكة جونسون » وفي هذه المحاكمة طلبت عدة شهادات من شخصيات سياسية مختلفة ، ومن بعض رجال الفكر ، نظراً لما تكتسبه المحاكمة من أبعاد فكرية تخرج عن النطاق العدلي العادي الذي أراد الاستعمار أن يحشر

فيه هذه القضية وأمثالها .

وقد كان جان بول سارتر من بين من طلبت شهادتهم في القضية لفائدة جونسون وجماعته . لكن التزامات سابقة فرضت على سارتر أن يكون متغيباً عن فرنسا ، في أميركا الجنوبية ، فوجه الى المحكمة بالرسالة التالية كشهادة :

« نظراً لاستحالة حضوري الى المحكمة العسكرية — وهذا ما أتأسف له تأسفاً عميقاً — فاني أريد أن أشرح موقفي شرحاً مفصلاً حول موضوع البرقية السابقة التي اكدت فيها تضامني المطلق مع المتهمين، لأنه لا يكفي أن أؤكد تضامني مع المتهمين، ولكن يجب أيضاً أن أشرح لماذا أتضامن معهم .

لا أعتقد أبداً بهيلين غينا (١) ولكني أعرف جيداً من فرانسيس جونسون الظروف التي كانت تعمل فيها شبكة جونسون المقدمة الى المحاكمة اليوم: ان جونسون كان من بين الذين عملوا معي طويلاً ، ولئن كنا لا نتفق دائماً في الرأي وهو أمر طبيعي — فان نظرتنا الى المشكل الجزائري جمعت بيننا ، وقد تتبعت يوماً بعد يوم مجهوداته التي كانت هي مجهودات اليسار الفرنسي لإيجاد حل لهذا المشكل بالوسائل الشرعية ، ولم يعزم جونسون على الالتجاء الى العمل السري لتقديم مساندة ملموسة للشعب الجزائري المكافح من أجل استقلاله ، الا بعد أن فشلت مجهوداته ، واتضح عجز اليسار الفرنسي .

لكن يحسن أن نوضح هنا نكتة غامضة، فليست المبادىء النبيلة والعزم على مقاومة الظلم أينما كان ، هي التي أملت على جونسون التضامن العملي مع المكافحين الجزائريين ، بل ان هذا الموقف ناتج عن تحليل دقيق للوضعية بفرنسا نفسها .

فاستقلال الجزائر اصبح امرا واقعا . سيتحقق استقلال الجزائر في ظرف

---

(١) احدى المتهمات في هذه القضية وكانت تعمل تحت مسؤولية جونسون مباشرة .

عام أو خمسة اعوام ، بالاتفاق مع فرنسا أو ضدها ، بعد الاستفتاء أو بواسطة تدويل الحرب ، لست أدري ، ولكن الاستقلال حاصل ، والجنرال ديغول نفسه الذي حمله الى الحكم أنصار الجزائر الفرنسية يجد اليوم نفسه مضطراً الى أن يعترف : « ايها الجزائريون ان الجزائر لكم » .

اكرر اذن ان هذا الاستقلال مؤكد ، لكن ما هو غير المؤكد هو مستقبل الديمقراطية في فرنسا ، لأن حرب الجزائر نشرت التعفن في هذا البلد ، ان تضاؤل الحريات تدريجياً ، وانعدام الحياة السياسية ، وتعميم التعذيب وتمرد السلطة العسكرية باستمرار ضد السلطة المدنية ، كل ذلك ينذر بتطور نستطيع أن ننعته من غير مبالغة ، بأنه تطور فاشيستي .

ان اليسار الفرنسي عاجز أمام هذا التطور ، وسيبقى عاجزاً ان لم يقبل بتوحيد جهوده مع القوة الوحيدة التي تكافح اليوم حقاً ضد العدو لمشترك ضد الحريات الجزائرية والحريات الفرنسية ، هذه القوة هي جبهة التحرير الوطني .

هذه هي النتيجة التي استخلصها فرانسيس جونسون ، نفس النتيجة التي انتهيت اليها بنفسي ، وأعتقد أني أستطيع أن أقول أن الفرنسيين الذين الذين قرروا أن يعملوا بمقتضى هذه الحقيقة يتزايد عددهم من يوم لآخر وخصوصاً في أوساط الشباب .

ان نظرة الانسان الى الأشياء تكون نظرة أصح عندما يتصل بالرأي العام الخارجي كما أفعل الآن في أميركا اللاتينية . ان الذين تتهمهم الصحافة اليمينية الفرنسية بالخيانة ويتردد بعض اليساريين في الدفاع عنهم كما يجب يعتبرون في الخارج هم أمل فرنسا في الغد وشرفها اليوم. انه لا يمر يوم دون أن توجه إلي الاسئلة عنهم وعن أعمالهم وعن مشاعرهم ، ان الصحافة هنا مستعدة لأن تفتح لهم أعمدتها ، وممثلو «حركة المقاومة الجديدة» (منظمة الفارين من الجندية احتجاجاً على حرب الجزائر) يستدعون الى المؤتمرات ، كما أن البيان حول حق الشباب الفرنسي في رفض التجنيد لحرب الجزائر

الذي وضعت فيه توقيعي الى جنب ١٢٠ من الاساتذة الجامعيين والكتاب والممثلين والصحافيين ، هذا البيان حياه الرأي العام هنا واعتبره ايذاناً بيقظة الذكاء الفرنسي .

ان المهم في رأيي هو أن تفهموا نقطتين . أرجو أن تعذروني ان أنا عرضتهما معاً ، لأنه من الصّعب في مثل هذه الشهادة أن يتعمق الانسان الى غور الأشياء .

ان الفرنسيين الذين يعينون جبهة التحرير الوطني ليسوا في الواقع مدفوعين الى هذا التأييد بمشاعر العطف على شعب مضطهد كما أنهم لا يخدمون قضية أجنبية ، ولكنهم يخدمون لصالحهم ، لصالح حريتهم ومستقبلهم ، انهم يعملون من أجل اقرار الديمقراطية في فرنسا وهم من ناحية أخرى ليسوا بمعزل عن شعبهم ، بل هم يتمتعون بتأييد يتسع نطاقه من يوم لآخر ، وبعطف فعال متزايد . لقد كانوا هم طليعة حركة قد تؤدي الى بعث اليسار الفرنسي واخراجه من الهوة التي تردى فيها من جراء حذر وتخوف بغيض .

ان هذه الطليعة تكون بعملها هذا قد أعدت أحسن اعداد نزاع القوة الحتمي مع الجيش ، هذا النزاع الذي تأجل منذ عام ١٩٥٨ .

من البديهي أنه من الصعب علي أن أتصور من هذا المكان البعيد الأسئلة التي كانت ستوجهها الي المحكمة العسكرية لو مثلت أمامها ، ومع ذلك فافترض أنها كانت ستسألني عن موضوع التصريح الذي أدليت به لفرانسيس جونسون لينشره في نشرته السرّية « الحقيقة من أجل . »

وسأجيب عن ذلك من غير مواربة ولا تردد : لست أذكر بالضبط التاريخ الذي أدليت فيه بهذا التصريح ولا عباراته ، ولكن تستطيعون أن تجدوا ذلك بسهولة ان كان التصريح ضمن الملف .

الا أن الذي أعرفه هو أن جونسون اتصل بي بوصفه منشطاً « لشبكة التأييد للجبهة » ، ولهذه النشرية السرية التي كانت هي لسان حال « الشبكة » ،

واني استقبلته وأنا على بينة من الأمر ، ثم اجتمعت به بعد ذلك مرتين أو ثلاث مرات ، ولم يخف علـي ما كان يقوم بـه من عمـله وكنت أؤيده في ذلك .

تحمل المسؤوليات

« اني أعتقد أنه ليس هناك في هذا الميدان مهام نبيلة وأخرى مبتذلة، أو حركات موقوفة على المثقفين وأخرى غير لائقة بهم .»

فأساتذة السوربون ، خلال المقاومة، لم يكونوا يترددون في حمل الرسائل والوثائق والقيام بالاتصالات ، ولو طلب مني جونسون أن أحمل حقائب أو آوي مناضلين جزائريين ، وكان في استطاعتي أن أعمل ذلك من غير أن أعرضهم للخطر ، لما ترددت في عمله . أعتقد أن هذه الأشياء يجب أن تقال: لانه قد قرب الوقت الذي يجب فيه على كل إنسان أن يتحمل مسؤولياته، مع أن أولئك الذين يمثلون أكثر الناس اندفاعاً في العمل السياسي وأشدهم التزاماً ، ما يزالون يترددون في تخطي بعض الحدود ، بدعوى احترام شرعية شكلية لست أدري ما هي ، وبالعكس من ذلك فان الشبان الذين يحظون بتأييد المثقفين هم الذين شرعوا في تحطيم الخرافات التي كنا ضحاياها مثل ما فعل الشبان في كوريا وتركيا واليابان ، ومن هنا تكتسي هذه القضية أهمية استثنائية خارقة: فلأول مرة ، وبالرغم من جميع العراقيل ، ومن جميع التقاليد ومن جميع الاحتياطات ، يقف جزائريون وفرنسيون يوحد بينهم رباط أخوي ، في قفص الاتهام ، وعبثاً يحاولون التفرقة بينهم ، وعبثاً يحاولون تقديم هؤلاء الفرنسيين في شكل ضالين يائسين أو رومانسيين حالمين .

كفانا من العطف المزيف « والشروح البسيكولوجية » ! يجب أن نقول بصراحة أن هؤلاء الرجال وهؤلاء النساء ليسوا وحدهم في الميدان وأن هناك مئات آخرين أخذوا مكانهم وأن هناك آلافاً غيرهم مستعدون لاداء

نفس العمل، ان مصيراً معاكساً فصلهم عنا موقتاً، لكني اجرؤ على القول : انهم مندوبونا ، ان ما يمثلونه هو مستقبل فرنسا . أما الحكم الزائل الذي يستعد لادانتهم ، فانه لم يعد يمثل شيئاً بعد .

بيان الـ (١٢١)

هذه الوثيقة اشتهرت باسم بيان الـ (١٢١) ، لان الذين وقعوا عليها قبل نشرها بلغ عددهم ١٢١ . وهم يضمون أشتاتاً مختلفة من رجال الأدب والسياسة والصحافة والفكر والمسرح والسينما . وقد نظم البوليس الفرنسي حملات عديدة ضد بعض الموقعين على هذا البيان وزج بعضهم في السجن . ورغم النطاق الضيق الذي انتشر فيه هذا البيان في مبدأ الامر ، فانه ما لبث ان أحدث دوياً في أوروبا وأميركا ، وانضمت الى أصحابه امضاءات جديدة من فرنسا ومن بلدان أوروبية وأميركية .

ونظراً لاتصال هذه الوثيقة بموضوع الكتاب فقد رأينا الحاقها به . أما البيان المضاد الذي وقع عليه بعض الكتاب اليمينيين مثل جول رومان فانه لم يكتب له أن يتجاوز حدود الأندية المتطرفة في فرنسا .

وهذا نص بيان الـ (١٢١) :

« تتطور بفرنسا حركة هامة جداً ، من الضروري أن يطلع عليها الرأي العام في فرنسا وفي العالم ، في الوقت الذي يقودنا المنعرج الجديد الذي دخلت فيه هذه الحركة الى مشاهدة لا نسيان — عمق الأزمة التي ابتدأت منذ ست سنوات ، ان عدد الفرنسيين الذين يلقى عليهم القبض ويحاكمون من أجل رفضهم المساهمة في هذه الحرب ، أو اعانة المكافحين الجزائريين يزداد كل يوم ، ومع ذلك لا يكفي أن نقول بأن هذه المقاومة تستدعي الاحترام . ان هذا الاحتجاج من طرف رجال يشعرون أنهم أصيبوا في شرفهم وفي الفكرة التي يحملونها عن الحق له مدلول بعيد المدى .

* * *

« ان الكفاح بالنسبة للجزائريين لا يعتريه أي غموض ، سواء كان كفاحاً عسكرياً أو ديبلوماسياً ، انه حرب من أجل الاستقلال الوطني ، لكن ما هي طبيعة هذه الحرب بالنسبة للفرنسيين ؟ انها ليست حرباً أجنبية لأن تراب فرنسا لم يكن أبداً مهدداً ، بل انها تشن على رجال تزعم الدولة أنهم فرنسيون ، وهم يكافحون من أجل أن تزول عنهم هذه الصفة ، وليس يكفي أن نقول أنها حرب احتلال أو عنصرية أو استعمارية ، فهذه العناصر توجد في كلّ حرب .

والواقع أن الدولة اتخذت قراراً يعد نداء أساسياً ، جندت بمقتضاه طبقات كاملة من أجل القيام بما تسميه هي عملية بوليسية ضد سكان مضطهدين يطالبون بكرامتهم .

ان حرب الجزائر ، التي ليست هي حرب احتلال ولا حرب دفاع وطني ولا حرباً أهلية ، أصبحت شيئاً فشيئاً عملاً خاصاً بالجيش وبطبقة ترفض الامتثال للسلطة المدنية .

ان ارادة الجيش هي التي حافظت على هذه الحرب الاجرامية العابثة والجيش هو الذي يعمل بواسطة الدور السياسي الذي يحمله عليه ممثلوه السامون — علانية في بعض الأحيان ، خارج كلّ شرعية ، ويخون أهداف مجموع البلاد ، ويوشك أن يعفن الأمة نفسها ، عندما يجبر المواطنين تحت أوامره على أن يكونوا شركاء في عمل متمرد أو عامل ساقط. هل من اللازم أن نذكر بأن الروح العسكرية الفرنسية ، بعد خمس عشرة سنة من القضاء على الهتلرية ، أعادت في حرب الجزائر أساليب التعذيب وتريد أن تجعل منها دستوراً جديداً لأوروبا ؟

* * *

« هذه هي الظروف التي حملت كثيراً من الفرنسيين على منازعة المغزى الحقيقي للواجبات التقليدية ، فأي معنى للوطنية عندما تتحول الى خضوع ملطخ بالعار ؟ ألا توجد حالات يصبح فيها رفض التجند واجباً مقدساً ، وتصبح فيها « الخيانة » احتراماً شجاعاً للحق ؟ وعندما يصلح الجيش في

حالة تمرد ظاهر او كــامن ضد الأنظمة الدستورية ، ألا يتخذ التمرد على الجيش معنى جديداً ؟

ان مشكلة الضمير هذه قد وجدت منذ بداية الحرب ، ومع استمرار الحرب من الطبيعي أن تحل هذه المشكلة بواسطة أعمال ملموسة متزايدة تمثل في رفض التجند أو الهروب من الجندية ، واعانة المكافحين الجزائريين ؛ ان هذه الحركات كانت حركات حرة تطورت على هامش كلّ الأحزاب التقليدية ، ورغم استنكار هذه الأحزاب ، وهكذا ولدت مرة أخرى ، مقاومة جديدة ، خارج نطاق الشعارات المحفوظة ، بواسطة وعي تلقائي يبحث ويخترع أشكال العمل ووسائل الكفاح التي تتلاءم مع الوضعية الجديدة التي اتفقت الصحف والأحزاب السياسية على عدم الاعتراف بمغزاها الحقيقي ، اما بسبب الجمود أو الخوف المذهبي ، أو مراعاة الأفكار التقليدية .

* * *

«ان الموقعين على هذا البيان يعتبرون انه يجب على كلّ إنسان أن يحدد موقفه من مثل هذه الأعمال التي يستحيل ابتداء من الآن اعتبارها حوادث عادية ومغامرات فردية ، ويرون أن واجبهم يقتضيهم أن يتدخلوا لا ليعطوا نصائح للرجال الذين قرروا مواقفهم بصفة شخصية ازاء المشاكل الخطيرة ، ولكن ليطلبوا من الذين يحكمون عليهم أن لا يتركوا أنفسهم ينخدعون بغموض الكلمات والقيم ويصرحون :

– نحترم رفض التجند وحمل السلاح ضد الشعب الجزائري ، ونرى أن هذا العمل له ما يبرره .

– نحترم سلوك الفرنسيين الذين يرون أن واجبهم يقتضيهم اعانة وحماية الجزائريين المضطهدين باسم الشعب الفرنسي ونرى أن هذا العمل له ما يــبرره .

– ان قضية الشعب الجزائري التي تساهم بكيفية حاسمة في القضاء على النظام الاستعماري هي قضية جميع الرجال الأحرار ..» .

المؤلف والكتاب



محمد المبارك الميلي ، مؤلف « الفاشية العالمية الحديثة » هو رئيس تحرير جريدة « الشعب » لسان حال جبهة التحرير الجزائرية ، وابن المرحوم الشيخ مبارك الميلي مؤلف « تاريخ الجزائر » وامين صندوق جمعية العلماء المسلمين حتى وفاته .

وهذا الكتاب الهام يتناول الحركات الفاشية في العالم ولاسيما حركة منظمة الجيش السرية الفرنسية ، ويتحدث عن العلاقات التي تربط بين هذه الحركات جميعاً ، سواء منها النازية او الفاشية او الصهيونية او بعض الحركات الأميركية الحديثة .

وسيجد القاريء تركيزاً كبيراً على موقف اليسار الفرنسي من هذه الحركة التي اصيبت بضربات كبيرة انتصرت على أثرها الثورة الجزائرية المظفرة .

والكتاب هو انتاج لبناني جزائري مشترك ، اذ هو يصدر عن دار الآداب اللبنانية ومكتبة النهضة الجزائرية .

الثمن ٢٠٠ ق.ل

مطبعة دار الكتب